خصائص الكتابة التاريخية المشتركة
عند اثنين من مؤرخي البلاط الموحدي
" ابن صاحب الصلاة المتوفي أواخر المائة ٦ هـ / ١٢ م
وابن القطان المتوفي منتصف ق ٧ هـ / ١٣ م "

د.عادل يحيى عبدالمنعم
مدرس التاريخ الاسلامي المنتدب
كلية التربية – جامعة عين شمس – سابقا

ملخص البحث:

أن الحديث عن خصائص الكتابة التاريخية المشتركة –عند ابن صاحب الصلاة، وابن القطان– ما يجعل الموضوع يكتسى أهمية خاصة من حيث الكشف عن مدى تعصب هؤلاء النفر من المؤرخين الموحدين لدولتهم التى عاشوا في كنفها وتحت سيادتها، وهو ما كان دافعا لكثير من مؤرخى دولة الموحدين في وصف المرابطين – أسلافهم– بالجهل والتزمت، وكأنهم أجلاف بعيدين كل البعد عن الحضارة والمدنية ، وفي الوقت نفسه راحوا يكيلون المدح والثناء على دولة الموحدين والدعاء لها ولحلفائها؛ وهو ما يعنى أن شهادة المؤرخ الموحدى في المدح لا يمكن أن تؤخذ على علاتها؛ بل يجب إعمال العقل فيها، ومعرفة كافة آراء المصادر التاريخية المعاصرة فيما هو مذكور من أحداث، وليس لى هدف من هذا سوى استجلاء الحقيقة، وهى جل أهداف الدراسة التاريخية، كما أنى لا أبغى – ولا يمكن أن يكون قصدى– محاكمة هؤلاء النفر من مؤرخى العصر الموحدى، أو الحكم عليهم بمقياس العصر الذي نعيشه؛ وهو ما يعنى عدم إمكانية عزل المؤرخ عن الظروف التى يحياها، وعن البيئة التى تسهم في بيان مواقفه.

Abstract

Talking about the characteristics of common historical writing - according to Ibn Saheb al-Salaat and Ibn al-Qattan - is what makes the topic of special importance in terms of revealing the extent of the intolerance of these group of historians who are monotheists of their state in which they lived and under its sovereignty, which was a motive for many historians of the Almohad state. In describing the Almoravids - their predecessors - of ignorance and puritanism, as if they were clumsiness, far from civilization and civilization, and at the same time they were praising and praising the Almohad state and praying for it and its allies; Which means that the testimony of the monotheistic historian in praise cannot be taken on its grounds. Rather, it is necessary to apply reason in it, and to know all the opinions of contemporary historical sources regarding the events mentioned. Almohad, or judging them according to the scale of the era in which we live; This means that the historian cannot be isolated from the circumstances in which he lives, and from the environment that contributes to stating his positions.

مقدمة :

لعل أهم ما يمكن أن أبدأ به حديثى في مقدمة بحثى هذا هو ما قال به الأستاذ الجليل الفاضل **أ.د محمود إسماعيل** عما يتعين على الباحث المعاصر أن يعمل العقل في روايات السلف ويخضعها للمنهج النقدى لتخليصها من أكداس الخوارق والكرامات والمعجزات والأساطير التى علقت بها؛ مشيرًا إلى ضرورة استخدام المنهج المقارن في استخلاص الحقيقة التاريخية من الروايات المتعددة والمتباينة ؛ وإن هذا لا يتم بمعزل عن الإلمام الكامل بحياة المؤرخين القدامى والوقوف على اتجاهاتهم الفكرية وأوضاعهم الطبقية التى تشكل المنظور التاريخى لكل منهم، والتى تترك بصماتها فيما يكتبون(١) .

ومن هنا فقد تولدت لدى فكرة المقارنة بين خصائص الكتابة التاريخية المشتركة بين اثنين من مؤرخى بلاط الدولة الموحدية وهما :-

ابن صاحب الصلاة المتوفي أواخر المائة السادسة من الهجرة/ القرن الثانى عشر الميلادى، وابن القطان المراكشى المتوفي في منتصف ق ٧هـ/١٣م. وقد رأيت أن كلاهما يجمع بينهما جوانب فكرية مشتركة، مثل العمل بخدمة الدولة الموحدية، والمشاركة في أحداثها التاريخية، بل إن كلاهما ينطبق عليه ما يمكن تسميته بأنهما من مؤرخى البلاط الموحدى، وهى التسمية التى أكد عليها الأستاذ الدكتور/محمود على مكى في تحقيقه لكتاب نظم الجمان لابن القطان [٢]، وقد كان لهذا كله آثارة، في جعل كتاباتهما التاريخية ذات خصائص مشتركة من حيث وحدة المصالح ووضوح الهدف عند كل منهما، فضلا على أنهما أصحاب أيديولوجيا واحدة إن صح القول .

وأظنى لا أبالغ في القول بأن الحديث عن خصائص كتابة تاريخية مشتركة بين الأنموذجين المذكورين من مؤرخى دولة الموحدين يعتمد على استنطاق النصوص الواردة في المصادر التاريخية لكليهما؛ ومن خلال هذا الاستنطاق يمكن تحديد مجموعة من المشكلات التى اتصفت بها الكتابة التاريخية عندهما، آملا أن اتجنب الشطط في استنطاق النصوص التاريخية، وهو ما نادى به أيضا أحد مؤرخى المغرب المحدثين [٣] .

آمل في نهاية مقدمتى أن ينطبق على بحثى هذا ما يمكن أن يقال بأنه خطوة على الطريق ... "من أجل كتابة علمية لتاريخ المغرب العربى" على حد قول أ.د عبدالجليل التميمى[٥]، سائلا المولى – عز وجل– أن يلهمنا الصدق وقول الحق في المدح والقدح، أنه نعم المولى ونعم النصير .

التعريف بدولة الموحدين : –

تعد دولة الموحدين هي إحدى أهم الدول الكبرى التي ظهرت في بلاد المغرب والأندلس على حد سواء، وقد تركت وراءها حدودًا مترامية الأطراف ممتدة من طرابلس الغرب إلى السوس الأقصى من بلاد المصامدة وأكثر جزيرة الأندلس [٦].

ويعد ظهور محمد بن تومرت "مهدي الموحدين وداعيهم" إيذاناً بقيام الدولة الموحدية؛ حيث سعى ابن تومرت إلى تقويض دعائم دولة المرابطين، فعاب عليهم اللثام، ووصفهم بالكفر والتجسيم، وأخذ يدلل على ذلك بتأويل خاطئ للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة [٧]، مستغلًا في ذلك ما أشاعه عن نفسه أنه " الإمام المهدي المنتظر المخبر به القائم في آخر الزمان، والذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا [٨]، وكانت وفاة ابن تومرت سنة

"٥٢٤هـ/١١٢٩م" ومجئ خليفته "عبدالمؤمن بن على" البداية الحقيقية لقيام الدولة، حيث استطاع الأخير تحقيق هدف ابن تومرت، وشهد عهده قتل آخر حكام المرابطين [٩]. بيد إن ما يهم الباحث– وفي إطار التعريف بدولة الموحدين– هو بيان مدى ازدهار علم التاريخ في عصر الموحدين، وكثرة التآليف فيه وتنوعها، وهو ما سوف يتم بيانه في الجزئية التالية.

ازدهار علم التاريخ عند لموحدين: –

ليس من السهل أن يتم الحديث عن ازدهار علم التاريخ في الدولة الموحدية، دونما بيان **المناخ الثقافي في البلاط المغربى قبيل دولة الموحدين؛** ومن الإنصاف القول بأن الموحدين – عند مجئ دولتهم – لم يجدوا في بلاد المغرب بلاداً قاحلة المعارف طبقاً لما قال به الأستاذ المنونى في حديثه عن حضارة الموحدين [١٠]؛ ويعكس صحة هذا القول ما جاء به عبدالواحد المراكشى في المعجب أثناء حديثه عن أمير المسلمين "يوسف بن تاشفين" وابنه "على بن يوسف بن تاشفين" قائلاً عنهما ... "فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة مالم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار..." [١١].

ومن المعروف – وحسبما جاء به صاحب روض القرطاس– أن مدينة مراكش كانت عاصمة لدولة المرابطين، ثم الموحدين من بعدهم، من يوم تأسيسها حتى انقراض دولة الموحدين[١٢]؛ ولعل في حديث المراكشى السابق عن ازدهار مراكش حاضرة الدولتين المرابطية والموحدية، ما يدل على أن بلاد المغرب لم تخل من النهضة الثقافية في العصر المرابطى، وليس من شأن البحث الاستطراد في هذا الجانب إلا بالقدر الذي يخدم موضوعه، وقد أفضى إلى البحث بأن تنوع المصادر التاريخية المدونة في عصر المرابطين قد أدى إلى مزيد من الثراء والتنوع في عصر الموحدين، وهو ما أشارت إليه دراسات مغربية متخصصة[١٣].

وثمة آراء في هذا الشأن تتحدث عن ازدهار علم التاريخ عند الموحدين؛ مشيرة إلى أن حكومة الموحدين قد أبدت تسامحاً فيما يتعلق بكتابة التاريخ، وألغت الرقابة على المؤلفات التاريخية، وسمحت بالكتابة عن تاريخ الدولة؛ بيد إنه كان لزاماً على المؤرخين أن يكتبوا بعطف عن الأسرة الموحدية، وأن خلفاء "عبدالمؤمن بن على" قد هددوا المؤرخين بالموت إذا كتبوا عن حكومتهم أموراً لا تسر.[١٤]

وعلى أية حال، فقد ازدهر علم التاريخ في عصر الموحدين ازدهارًا يتناسب ومقام الموحدين العلمى، وظهرت طائفة كبيرة من المؤرخين المغاربة، وهم الذين تناولوا كثيرًا من فنون التاريخ، فألفوا في السير والأنساب، والتراجم، وتاريخ الملوك، وتاريخ البلدان ... إلى آخره . (١٥)

بيد إن ما يهم البحث هنا – في إطار ازدهار علم التاريخ عند الموحدين – هم المؤرخين ممن تركوا كتابات تاريخية عن الموحدين كدولة، أو عن البلاط الموحدي، وكانوا ممن عملوا في هذا البلاط أيضًا؛ وهو ما ينطبق على: ابن صاحب الصلاة – وابن القطان المراكشي، فكلاهما "مؤرخ بلاطي"، وهي التسمية التي تبدو فيها عبقرية أ.د. محمود مكي في اختياره لهذه اللفظة (١٦)، وسوف يتم التعريف بهما، كلا على حده – بإيجاز شديد – وصولًا إلى خصائص الكتابة التاريخية المشتركة بينهما.

التعريف بابن صاحب الصلاة – وابن القطان :-

ينبغي التنويه في إطار هذه الجزئية بأن الاستفاضة في التعريف بابن صاحب الصلاة، وابن القطان قد لا يخدم موضوع البحث كثيراً ؛ فقط أقوم بالتعريف بهما تعريفاً موجزاً، وصولاً إلى حقيقة تاريخية مهمة، وهي أن كلاهما ينتمى إلى العقيدة الموحدية، وأن لديهما الولاء والانتماء لدولة الموحدين، وتعاليم مهديها "محمد بن تومرت"؛ وهو ما جعل بينهما خصائص مشتركة في الكتابة التاريخية، تعتمد على كونهما من مؤرخي البلاط الموحدي، ويدلل على ذلك نشأة كل منهما.

فابن صاحب الصلاة. هو عبدالملك بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، يُكنى : أبا مروان، وأبا محمد، استوطن إشبيلية، وأصله من مدينة باحة، توفي أواخر القرن ٦هـ/١٢م طبقًا لما قال به صاحب الذيل والتكملة (١٧)؛ ونقل عنه ابن الأبار في الحلة السيراء كثيراً من النقولات، واصفًا إياه أحيانًا بالإشبيلى، وأحياناً أخرى بالباجى(١٨)، وتم تصنيف كتابه "المن بالإمامة..." ضمن المؤلفات الأندلسية، منسوباً إلى ابن صاحب الصلاة أبى مروان عبدالملك بن محمد بن أحمد الباجى الأندلسي المتوفي عام ٥٩٤هـ/١١٩٧م" (١٩)، وهو نفس التعريف الذي جاء به الأستاذ عبدالسلام بن سودة في دليله دونما أن يذكر تاريخًا لوفاته (٢٠).

كما أجرى الأستاذ الدكتور العبادى دراسة عن كتاب الحلل الموشية، قال فيها أن صاحبه اعتمد على كتب تاريخية أصيلة منها كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة، ويجعل وفاته سنة "٥٧٨هـ/١١٨٢م" (٢١). وهو مايعنى أن هناك اختلافاً في الآراء حول تاريخ وفاته؛ بيد إن

الأقرب إلى الصواب هو ما قال به الأستاذ الدكتور عبدالهادي التازي في تحقيقه لكتاب المن مشيرًا إلى أن أقرب الاحتمالات إلى وفاته، هو أن توفي أواخر المائة السادسة، معتمداً في ذلك على اختفاء النقل عنه أواخر المائة السادسة من الهجرة / الثانية عشرة من الميلاد [٢٢].

وعلى أية حال، فإن القارئ الكريم يستطيع أن يتلمس بعضاً من جوانب حياة ابن صاحب الصلاة ونشأته من خلال كتابه المن[٢٣]؛ وقد جاء في مقدمة تحقيقه الكتاب سبب تسميته بابن صاحب الصلاة استنادًا إلى أن ديار الإسلام قد عرفت خططاً عديدة من بينها صاحب الصلاة، وصاحب الخطبة ... وغيرها من الخطط [٢٤]، كما إن في تلمس جوانب حياته في كتاب المن ما يشير إلى موحدية الرجل من منبت الرأس إلى أخمص القدم، حتى أن الخلافة الموحدية قد أغدقت عليه عند كبر سنه، وأسندت إليه الخطبة في جامع إشبيلية، متقاسماً لها مع أبى الحكم عبدالرحمن بن حجاج [٢٥]؛ **وإذا كانت الدولة الموحدية قد أغدقت على ابن صاحب الصلاة، فإنها أغدقت أيضًا على ابن القطان المراكشي ...**

فمن هو ابن القطان المراكشي ؟ .

هو أبو محمد حسن بن على بن القطان، ولد في حدود سنة "٥٨٠هـ/١١٨٤م"، ولعل ميلاده كان في مدينة فاس التي نزل فيها والده صاحب الأصل القرطبي المتوفي سنة "٦٢٨هـ/١٢٣٠م"، بينما امتدت الحياة بابنه مؤلف نظم الجمان حتى عاصر الخليفة المرتضى الموحدى، وكان وفاته تقريبًا في منتصف القرن "٧هـ/١٣م" [٢٦] .

وقد أسهب أ . د مكى – في مقدمة تحقيقه نظم الجمان– في التعريف بابن القطان الأب [٢٧] ؛ وذلك حتى يتعرف القارئ على ابن القطان الابن مؤلف نظم الجمان وارث علم أبيه، وأبرز تلاميذه، ومستودع ثقته . وقد احتذى الابن طريقة أبيه في التزلف لخلفاء الدولة الموحدية، ومظاهرتهم بالحق والباطل، وقد عاصر الأب خلفاء الدولة الموحدين بدءًا من يعقوب المنصور حتى المعتصم [٢٨]، وكذا كان حال الابن أبى محمد بن القطان [٢٩] في صلته بالخليفة المرتضى الموحدى، هذا الخليفة التعس الذي وافق حكمه غروب شمس الموحدين، وكان ابن القطان الابن من كتاب دولته المقربين [٣٠] .

وفي هذا ما يعني أن " ابن القطان الابن " كان امتداداً لأبية في الحماسة الشديدة للدعوة الموحدية، والوصولية التي كان عليها الأب في الوصول إلى الجاه والسلطان، حتى إن تاريخه "نظم الجمان" يمكن أن يطلق عليه تاريخًا بلاطيًا، وهو ما ذكره أ. د مكي مشيراً إلى أن كتاب

"نظم الجمان" يعد من طراز تلك الكتب التى ألفها مؤرخون منتفعون من أمثال: البيذق وابن صاحب الصلاة [٣١]، والأخير هو موضوع بحثي مع ابن القطان، ولعل في هذا ما يدفع إلى بيان خصائص الكتابة التاريخية المشتركة بينهما باعتبارهما من المؤرخين المنتفعين في بلاط الدولة الموحدية .

خصائص الكتابة التاريخية المشتركة:-

يمكن وضع خصائص الكتابة المشتركة بين ابن صاحب الصلاة، وابن القطان المراكشي على النحو التالي:-

أولا : استخدام الآيات القرآنية في غير موضعها :-

يبدو هذا واضحًا عند ابن صاحب الصلاة في تأويله للآيات القرآنية الكريمة، واستخدامها في غير موضعها، حتى إن هذا الأمر يبدو من تسمية كتابه :- " كتاب تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدى بالموحدين على الملثمين، وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وأخير الخلفاء الراشدين [٣٢]

وبغض النظر عما في عنوان الكتاب من إضفاء القداسة على دولة الموحدين؛ فإن هذا الأمر سوف تتم مناقشته فيما بعد؛ إلا إن عنوان الكتاب مشتق من الآية القرآنية الكريمة: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} وهي الآية القرآنية الكريمة رقم (٥) من سورة القصص، ولا يمكن فهمها فهمًا صحيحًا بمعزل عما سبقها، وما تلاها من آيات قرآنية . وقد رجعت في هذا الشأن إلى كتب أسباب النزول، فلم تشف لى غليلًا في بيان تفسير الآيات القرآنية وأسباب نزولها، فما كان منى إلا الرجوع إلى بعض كتب تفسير القرآن الكريم، حيث يتضح مدى استقطاع الآية من سياقها القرآني، وأن الآيات تشير إلى معاناة بنى إسرائيل على يد فرعون، واستعمالهم في أخس الأعمال، وقتل أبنائهم من الذكور خاصة، واستحياء نسائهم، ولهذا كله جاء قوله سبحانه وتعالى : - {طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ} الآية [٣٣]

ومع التسليم بأن العبرة في الآيات القرآنية الكريمة تكون – كما يقول علماء الأصول – بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب؛ إلا إن هذا التأويل للآيات القرآنية قد لا يعد مقبولًا في رأي البعض، وأسوأ منه تشبيه خلفاء الموحدين بالخلفاء الراشدين – رضي الله تعالى عنهم – طبقا لما يتضح من عنوان كتاب ابن صاحب الصلاة في كلمته... "أخير الخلفاء الراشدين" الذي يقصد به الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن "٥٥٨– ٥٨٠هـ/١١٦٢–١١٨٤م"(٣٤)، كما إن السياق التاريخي لدولة الموحدين يشير إلى إنهم لم يكونوا مستضعفين تجاه من قبلهم، بل كانوا هم المعتدين على دولة المرابطين .(٣٥)

ولم يكن ابن القطان المراكشي أحسن حالاً من ابن صاحب الصلاة في نفس الجزئية التي تعتمد على تأويل الآيات القرآنية، واستخدامها في غير موضعها، بل إنه كان أسوأ حالا من سلفه، فقد جاء بطائفة من الآيات القرآنية مما استخدمها ابن تومرت " مهدى الموحدين " تجاه المرابطين أثناء قيامه وثورته عليهم،ومنها قوله سبحانه وتعالى : – {وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ} (٣٦)

وقوله سبحانه وتعالى – {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٣٧) وقوله تعالى أيضاً :– {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ} (٣٨) . ويشير ابن القطان إلى أن ابن تومرت استدل على وجوب قتال المرابطين من خلال هذه الآيات الكريمة، مُختتمًا هذا كله بقوله "فكل هذه مما جاء به الإمام المهدى رضي الله تعالى عنه مما يشهد بصدق ما أتى به وسعة علمه وعصمته، فكل هذه العلامات التي ناطها بالقوم الذين تولى تغيير ما أتوا به دالة على أشراط الساعة " (٣٩)

ولعل في هذا كله ما يشير إلى استخدام الآيات القرآنية في غير موضعها، بل واستخدامها لخدمة أهداف سياسية بحته، وأن كل ما أتى به المرابطون، وسعى إلى تغييره ابن تومرت كان يعد – من وجهة نظر ابن القطان – من علامات الساعة! كما إن المتأمل

للآيات القرآنية الكريمة يدرك مدى فداحة الجرم الذي ارتكبه بن تومرت ووافق عليه ابن القطان المؤرخ، في توجيهها ضد "دولة إسلامية مفترى عليها" إن صحت العبارة [٤٠]. فهل كان المرابطون ظلمة حتى لا يركن إليهم الموحدون، وهل حادوا الله ورسوله، وهم أصحاب صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد في الأندلس، نجحوا من خلالها في إرجاء سقوط الأندلس[٤١]، فضلاً على جهادهم ضد قبائل "برغواطة" هراطقة المغرب الأقصى[٤٢]، وهل كان المرابطون أيضًا ممن اتخذ من أعداء الله ورسوله أولياءً لهم ؟ !

وليس عندي تفسير لهذه الجزئية سوى أن "ابن صاحب الصلاة – وابن القطان" يعدان في طليعة مؤرخي البلاط الموحدي، فكلاهما مؤرخ بلاطي، وإن كان الأمر يبدو أكثر سوءًا عند ابن القطان؛ إلا إن هذا لا يلغى أن "كلاهما في البراجماتية سواء" إن صح إطلاق اللفظة عليهما؛ فقط أريد أن أنبه القارئ إلى أنني لم أقصد إحصاء مواضع استخدام الآيات القرآنية في غير موضعها حسبما استخدمها ابن القطان المراكشي على لسان ابن تومرت أو على لسانه هو؛ إلا إن هذا الأمر قد وصل من ابن القطان إلى درجة من السوء لا مزيد عليها، حتى إنه يذكر عن ابن تومرت أنه الذي سيملك جميع أصناف الناس، حسبما وعد الله – سبحانه وتعالى – في محكم كتابه حيث قال: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [٤٣] . فهل كانت الآية الكريمة تنطبق على الموحدين فقط، أم أنها تمتد لتشمل كل من ينطبق عليه الصلاح، وهل كان الموحدون فقط هم ممن ينطبق عليهم الصلاح والبقاء دون غيرهم ؟!

وأكثر من هذا يجده المرء في حديث ابن القطان عن "ابن تومرت مهدي الموحدين" بأنه الذي ألف بين جميع أصناف الناس بفضل إلهى طبقًا لما جاء في قوله سبحانه وتعالى {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [٤٤] . والحق أن الباحث ليثني على ابن القطان دوره في إرجاع الفضل في التأليف بين أصناف الناس إلى الله سبحانه وتعالى ! حتى الآية القرآنية التى خاطب بها الله – سبحانه وتعالى – نبيه صلى الله عليه وسلم، يستخدمها ابن القطان لنصرة ابن تومرت مهدى الموحدين في غير موضعها، وفي هذا كله ما يشير إلى تطرف ابن القطان في موحديته بشكل فاق فيه ابن صاحب الصلاة .

ثانيًا: استخدام بعض أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – في إظهار الولاء للموحدين:-

تبدو هذه الجزئية قليلة الاستخدام – كسابقتها – عند ابن صاحب الصلاة؛ فمن خلال استقراء أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي استخدمها ابن صاحب الصلاة، وأوردها في كتابه، وجدت أنه لم يستخدم سوى حديث واحد للنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه "جبلت القول على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها" وقد أورد هذا الحديث الشريف عندما تم الإنعام عليه بظهير الولاء على يد أبى يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن الذي يعتبره "أخير الخلفاء الراشدين"(٤٥)؛ وكان ذلك أثناء دخول ابن صاحب الصلاة – هو وغيره ممن أنعم عليهم – على الخليفة أثناء مرضه، ويقول ابن صاحب الصلاة في هذا الشأن :- "وأمر رضى الله عنه لكل واحد منا بما أمله من إنعام، وخصني منهم بظهير كريم بأسهام، ومواساة معها أعانتني على الزمان الذميم، وأغنتني عن اللئام ..." (٤٦) والقول – وكما وضحه د. التازي – يشير إلى ظهور ابن صاحب الصلاة بمراكش – أوائل سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م– ليقدم التهاني بشفاء الخليفة الموحدي(٤٧)، وربما يكون لابن صاحب الصلاة عذره في هذا الشأن؛ فالرجل يكافأ على ماقدمه من خدمات لدولة الموحدين، وربما يكون لتقدم السن به أثر في هذا الشعور الإنساني الذي يمكن أن يشعر به أى إنسان تجاه من أحسن إليه، خاصة وأن الإحسان للمرء قد يستعبد قلبه .

بيد إن الباحث يجد هذا الإحسان الموحدي قد ملك على ابن القطان قلبه وعقله، حتى صده عن الواقع التاريخي الصحيح، فتحدث في ثنايا كتابه عن مخالفة اليهود والمشركين، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد أمر بذلك، ثم يعطف على هذا بقوله :-

"وكذلك المجسمين، هم يشبهون النساء في تغطية الوجوه والتلثم والتنقب، ويتشبه نساؤهم بالرجال في الكشف عن الوجوده بلا تلثم ولا تنقب، وقد لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء، فقد شملتهم اللعنة جميعاً ... " (٤٨)

ولعل المتأمل في حديث ابن القطان يدرك أن الرجل يساوى بين المرابطين واليهود والمشركين، ويصب عليهم اللعنة جميعًا، ويستخدم أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – أسوأ استغلال، وفي غير موضعها ؛ ومن المعروف أن اللثام عند المرابطين يعد مظهرًا من المظاهر التي أوجبتها البيئة الجغرافية(٤٩)، لكنه يستغل اللثام في النيل من رجال المرابطين في وصفهم بالتشبه النساء، والنيل أيضًا من نسائهن في تشبهن بالرجال .

ويتجاوز ابن القطان هذا كله متوقفًا عند حديث النبى – صلى الله عليه وسلم – الذي يقول فيه أن "المهدى من عترتى من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها" (٥٠)؛ ويمضى ابن القطان في التدليل على أن "ابن تومرت، مهدي الموحدين" ينتمي إلى آل بيت النبوة، مشيراً إلى أنه قد صح أن اسم أبيه عبدالله، وأن تومرت لقب له، فضلاً على أن اسم " محمد " يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم ... ويستطرد ابن القطان في إيراد كافة الأدلة التي تبرهن على أن ابن تومرت – مهدي الموحدين – هو المهدى المنتظر الذي أخبر عنه النبى – صلى الله عليه وسلم – متجاوزًا في ذلك كل حدود التزلف حتى يصل في هذا الشأن إلى الهراء غير المقبول؛ فيقول عن ابن تومرت أنه " مهدي على الحقيقة، وملك على الإطلاق، وإمام أول، وأنه الذي بشر به جده محمد صلى الله عليه وسلم وملائكته الكرام عليه وسلم"(٥١) وأنه :-

"الإمام الأول الذي يستحق أن يكون ملك المعمورة الكونية"(٥٢) .. إلى غير ذلك مما لا يقبله عقل" ولا يتفق مع صحيح الدين، وتأباه الفطرة السليمة، ويرفضه الواقع التاريخي الصحيح .

ويندفع ابن القطان في تطرفه في الولاء للدعوة الموحدية؛ فيشير إلى وفاة ابن تومرت "مهدى الموحدين" سنة "٥٢٤هـ/١١٢٩م" في أعقاب واقعة البحيرة(٥٣)، وكيف اطمأن الرجل – قبل وفاته – على سلامة خليفته عبدالمؤمن بن على، بما يفسره ابن القطان بأن الخلافة في عقبة الى قيام الساعة مستنداً في ذلك الى قول النبى – صلى الله عليه وسلم: "لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق الى قيام الساعة " (٥٤)

ولعل في هذا كله – وربما غيره كثير مما يخرج عن القصد إحصاؤه – ما يدلل على أن الولاء للدولة الموحدية قد يصيب المؤرخ بالتطرف، ويعمى عن الحقيقة، وهو ما وقع فيه ابن القطان بصورة فجة، تبدو هذه الصورة أقل وطأة بكثير جدًّا عند سلفه ابن صاحب الصلاة .

ثالثا : تشويه العصر المرابطي وتوجيه الشتائم إلي المرابطين :-

تشير بعض الدراسات إلى العيوب التي وقع فيها مؤرخو البلاط الموحدي من عبارات الإجلال والتعظيم للخلفاء والأمراء الموحدين، والانتقاص من المرابطين (٥٥)، وقد أشار أ.د التازى – في مقدمة تحقيق كتاب المن – إلى أن ابن صاحب الصلاة كان يتصف بأخلاق كريمة طيبة، وأنه – في الأغلب – لا يتناول الدول التى سبقت حكم الموحدين بشتائم أو نقائص، وأن هذا كان نتيجة لتدنية وتقواه (٥٦) .

والجدير بالذكر، إن أسلوب ومنهج ابن صاحب الصلاة يشهدان له على تدينه وتقواه؛ فعندما يترجم لأبى القاسم أخيل بن إدريس يذكر أنه "كتب في فتوته آل الملثمين"[٥٧] دون أن يقرن ذلك بسب أو قذف، أو على الأقل تجاهل؛ الذي يعد في حد ذاته تقليلاً من شأن دولة المرابطين، ومع ذلك، فقد وقع ابن صاحب الصلاة – في هذا التجاهل – عند حديثه عن بناء قنطرة إشبيلية في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن، وقوله عنه أنه حصل له : –

"من الأثر الجميل، والأجر الجزيل، على اتصال الأزمان، ومرور الحدثان، مالم يتقدم قبله لملك من أهل الطوائف، ولا من الخلائف" [٥٨]. وفي الكلمة الأخير إشارة إلى التعريض بالمرابطين وتجاهلهم؛ إلا إنه يتجاوز هذا التعريض إلى درجة تقترب من وصفهم بمالا يليق، وذلك في ضوء ماذكره عن الاستبشار بما منَّ الله على الموحدين والنصر.." وبما سنَّاه الله للموحدين هناك من غزو المجسمين" [٥٩] .

والحق، إن المرابطين لم يكونوا مجسمين، وإنما كان ابن تومرت يغالط، ويصرح بأن جهادهم أوجب من جهاد الكفار، ويضيف د . التازى أن هذا من قبيل السفسطة التي وقع فيها "المهدي بن تومرت" على حد قوله. [٦٠]

وإذا كان الأمر يقتصر عند ابن صاحب الصلاة على التعريض بالمرابطين أو تجاهلهم، أو محاولة من طرف خفي لتشويههم، فإن ابن القطان المراكشي يتجاوز هذا كله إلى حد الشتائم وتشويه العصر المرابطى؛ فيصفهم بالجهلة، معلقاً على إحراق كتاب الإحياء للإمام الغزالي قائلاً :–

"وقد كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما ألف مثله سببًا لزوال ملكهم، وانتثار سلكهم، واستئصال شأفتهم ..." [٦١] وقد يكون إحراق كتاب إحياء علوم الدين – بالفعل – خطأ لايمكن إنكاره؛ إلا إن ابن القطان يستغله مطيه لوصف المرابطين بالجهل، ويدفعه هذا إلى التقول على المرابطين؛ فيذكر مآخذهم على الموحدين، وأنه قد نُسب إلى المرابطين وصفهم للموحدين ... بالكفر والضلال والخروج من الدين، فسموا أهل التوحيد خوارج وجعلوهم مبتدعين، ونسبوهم إلى الخروج عن الدين ! "

والحق أننى أقف حائرًا أمام هذه الجزئية التي ذكرها ابن القطان بعنوان "مآخذ المرابطين على الموحدين" والتي وصفتها بعض الدراسات بأنها من قبل الحرب النفسية والكلامية التي

اشتعلت بين الفريقين [٦٣]؛ وقد أفضى إلى البحث بأن هذه المآخذ لا يمكن أن تؤخذ على علاتها، خاصة وأنها جاءت ممن يعد مؤرخًا بلاطيًا موحديًّا، ومعاديًّا – في نفس الوقت– لكل ماهو مرابطى، وربما يكون ابن القطان قد لجأ إلى افتعال هذه المآخذ حتى يتخذها سنداً وتكئة لتكييل الهجوم والشتائم إلى المرابطين، وهو ما حدث بالفعل.

فقد مضى ابن القطان المراكشى في ذكر أوصاف أطلقها ابن تومرت على المرابطين تهدف إلى تشويههم، وهذه الأوصاف مثل:– " الحشم، والمجسمين، والزراجنة " واللقب الأخير يفسره ابن القطان بأنهم (أى المرابطين) كانوا بيض الثياب، سود القلوب [٦٤]؛ وهو أمر يدعو إلى العجب والدهشة، فأنى للمرء أن يحكم على الآخر بسواد قلبه، والله وحده – سبحانه وتعالى – هو العليم بذات الصدور، وبما في قلوب عباده ؟!

كما لم يغب عن ابن القطان وصف المرابطين بالمجسمين، كما وصفهم سلفه ابن صاحب الصلاة، وأنهم يشبهون النساء في تغطية وجوههم، وهو ماسبق الإشارة إليه في الخاصية الثانية؛ وفضلًا على ذلك، فهو يصف مدن المرابطين بأنها كانت " مدناً ضالة فاسقة خبيثة، نذلة في الغاية..."[٦٥]، وهو ميل إلى التعميم، وكأن السلبيات والعيوب لم تكن إلا في العصر المرابطى فقط، والحق أن في القول الأخير إشارة لما جاء به " البيذق " في أخبار ابن تومرت، وحديثه عن دخوله بعض مدن العصر المرابطى في محاولة من الأخير لتغيير المنكر، ومجابهة اختلاط الرجال بالنساء، واستخدام المزامر والملاهي ... إلى غير ذلك مما يفصله البيذق [٦٦] وهو المؤرخ المتيم بابن تومرت، والذي يلصق إليه الخوارق والمعجزات [٦٧]، سيراً على نهج مؤرخى البلاط الموحدي، ولعل في هذا ما يعني أن ابن صاحب الصلاة كان أكثرهم تهذبًا وتأدبًا في حديثه عن دولة المرابطين، التي لم يتردد ابن القطان في وصفهم بأنهم أعداء الله، وأعداء الموحدين، من خلال ما قاله ابن تومرت لأصحابه، وجاء به ابن القطان، قائلا في ذلك دون أن يفند أو يعلق أو يرفض " لا تنظروا إلى أعداء الله وأعدائكم، فيعظموا في أعينكم" [٦٨]

والرأي عندي أنها شهوة الحكم والسلطة التي دفعت بابن تومرت بالخروج على الدولة المرابطية في عنفوان قوتها، وجهادها ضد نصارى إسبانيا، وأفرز هذا المناخ مؤرخين منتفعين، روجوا لمثل هذه الأفكار دونما إعمال للعقل فيما يكتبونه .

رابعًا: تعدد صور المغالاة في المدح، والإطراء الزائد عن الحد:-

لا أستطيع أن أدعى القدرة على إحصاء صور المغالاة في مدح ابن تومرت وخلفاء الموحدين، بيد أن أهم مايمكن قوله أن المغالاة في مدح الموحدين والإطراء عليهم إنما يعتمد على الإيمان والولاء الكامل بالعقيدة الموحدية، وتعاليم ابن تومرت عند كل من ابن صاحب الصلاة – وابن القطان؛ وفي هذا الشأن يذكر ابن صاحب الصلاة – أثناء ترجمته لأبى الحسن الإشبيلى – أنه لقى الأخير ... بحضرة مراكش سنة "٥٦٠هـ/١١٦٤م" وسمع عليه قراءة عقيدة التوحيد، والعقيدة المباركة المسماة بالطهارة " [٦٩]. **ومن هنا تتعدد صور المغالاة في مدح ابن تومرت وخلفاء الموحدين عند ابن صاحب الصلاة؛ حيث يأتى بمجموعة من الرسائل التي تظهر ولاءه للموحدين،** من بينها ما قاله على لسان" السيد أبي إسحق بن الخليفة أبي يعقوب يوسف" إلى الأشياخ والحفاظ يعلمهم بخبر دخول ابن همشك "في التوحيد، وهي من إنشاء ابن مصادق، ويقول في مقدمتها :-

"أما بعد حمد الله على ما أولى وفتح، والصلاة على محمد نبيه الذي تبين به دين القيمة ووضح، والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، معيد دين الله بعد ما عفي رسمه ومصح .."[٧٠]

والرسالة هنا جاءت في كتاب لابن صاحب الصلاة، وهو ما يعني أنها يوافق عليها – انطلاقاً من إيمانه بالعقيدة الموحدية وتعاليم ابن تومرت – قلباً وقالباً، ثم إن القارئ المتأمل لوصف ابن تومرت بأنه الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، معيد دين الله بعد ماعفي رسمه... يدرك إلى أي مدى تبدو المغالاة.

ومن صور المغالاة أيضًا عند ابن صاحب الصلاة وصف فترة الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن بعهد سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – في جوده وكرمه، حتى إنه قال في هذا الشأن:- " ونال الناس معه في إمارته وبعد ذلك في خلافته من جميع الطبقات من الكتاب والعمال والطلبة والقضاة والرعية بصلاح أحوالهم ونماء أموال ما لم يعقد مثلها في زمان حتى شبهها الطلبة وأهل التواريخ بأيام عثمان بن عفان رضى الله عنه" [٧١] ومع ما شاب عهد سيدنا عثمان بن عفان – رضى الله عنه – من أحداث عرفت باسم الفتنة

الكبرى؛ إلا إن تشبيه عهد أحد خلفاء الموحدين بعهده يحمل قدرًا كبيرًا من المبالغة والمغالاة في الإطراء والمدح .

ومن صور المغالاة أيضا عند ابن صاحب الصلاة ذكره لا يفاد أو بعث "السيد الأسنى أبي إسحاق إبراهيم – ابن الخليفة أبى يعقوب يوسف – إلى قرطبة والياً عليها، وتشبيه هذا الحادث بما فعله سيدنا أبو بكر الصديق، حيث بعث يزيد بن أبى سفيان إلى الشام في غزو الروم [٧٢]، وتمتد هذه المغالاة إلى وصف بيعة الخليفة أبى يعقوب يوسف بالبيعة الرضوانية، ويذكر كتابه إلى ابنه "السيد الأسنى أبى إبراهيم إسماعيل" بإشبيلية، والذي يطالبه فيه أن ... يأخذ الناس بإشبيلية وجميع الموحدين من الذين بها وببلاد الأندلس ... "لعقد البيعة الرضوانية التي بها يكمل دينهم ويصدق يقينهم" [٧٣]

وإطلاق لفظ البيعة الرضوانية أمر غير مقبول، وتشبهًا بحادث جليل حدث في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وعرف باسم "بيعة الرضوان[٧٤]" هذا فضلًا على تسمية أمراء الموحدين بالسادات وإطلاق لفظ "أمير المؤمنين[٧٥] " على خلفاء الموحدين ... الى غير ذلك من الجوانب المرتبطة بالمغالاة في المدح والإطراء عند ابن صاحب الصلاة، والتي نوهت في مقدمة الحديث عنها بأنه يخرج عن القصد إحصائها.

والجدير بالذكر، إن الباحث المدقق في تكييل عبارات المدح والثناء على ابن تومرت وخلفاء الموحدين ليدرك – من الوهلة الأولى– مدى ما انغمس فيه مؤرخو البلاط الموحدي من أخطاء في الكتابة التاريخية، فضلًا على أن الإطراء الزائد عن الحد يخالف المنهج الإسلامي باعتبارهم مؤرخين في ديار الإسلام [٧٦] وقد استمر هذا الأمر حتى مجئ الخليفة الموحدي المأمون "٦٢٤ – ٦٢٩هـ/١٢٢٦–١٢٣١م" وهو الذي قام بدحض كل ماجاء به ابن تومرت [٧٧] .

ومن هذا المنطلق، فقد تعددت **صور المغالاة في المدح عند ابن القطان المراكشي**، فلا يذكر اسم ابن تومرت حتى يقرنه بالدعاء له، ويصفه – كما وصفه سلفه ابن صاحب الصلاة – بالإمام المعصوم، والمهدى المعلوم رضي الله تعالى عنه [٧٨]، ويدفعه هذا إلى ذكر كراماته ومناقبه، ومظاهر عصمته [٧٩]، وهي من الجوانب التي ينبغي أن يأخذها الباحث بكثير من الحيطة والحذر، حتى يمكن تنقية المرويات التاريخية مما لحق لها من أكداس الخوارق والكرامات والمعجزات .

ويمضى ابن القطان في نفس نهج ابن صاحب الصلاة، فيمتدح خلافة عبدالمؤمن بن على، أول خلفاء الموحدين بعد ابن تومرت، فيصف دولته بعد مقدمة يقول فيها ... "فهذه المقدمة لدولته السعيدة، وخلافته الحميدة، التي شرق ضياؤها وسطع، وعلا سناؤها وارتفع، وأقرت عين الدين، وقهرت كل الملحدين ..."(٨٠). كما يمتدح عهد الخليفة المرتضي "٦٤٦ – ٦٦٥هـ/ ١٢٤٨– ١٢٦٦م"، فيقول عنه: "أسنى الخلائف قدرًا ، وأسماهم ذكرًا، وأقسطهم حكمًا، وأوسعهم علمًا..." ويدعو له في موطن آخر قائلا.. "والله سبحانه وتعالى يعلى مناره، ويديم بالخلافة المرتضية ضياؤه وأنواره إلى يوم الدين." (٨١). ومع التسليم بما شهده عهد الخليفة "عبدالمؤمن بن على " من ازدهار وقوة في دولة الموحدين، فهل كان هذا ينطبق على عهد المرتضى الموحدي، أم أنه من قبيل المغالاة في المدح والإطراء الزائد عن الحد ؟!

خامسًا: استخدام الأسطورة * في المرويات التاريخية:–

لجأ ابن صاحب الصلاة إلى استخدام ما يشبه النسيج الخيالي المعتمد على الأسطورة في إحدى مروياته التاريخية، ويبدو هذا واضحًا عند حديثه عن وصول خبر الانتصار على " ابن مردنيش " إلى مراكش وقوله أنه رأى " قطًا على سقف دار الخليفة يمشي وفي فمه فرخ حمام قد افترسه، فقلت لمن كان معي من أشياخ أهل الأندلس : الله أكبر هزم والله ابن مردنيش! فقالوا لي: بم تقول هذا ؟ فقلت لهم : هذا القط شبه الأسد، والأسد عُدوى: والحمام عجمي: فقلت غلبت الموحدين العجم، وافترسوهم كافتراس هذا القط الفرخ ..."(٨٢). وهذا النسيج الذي يعتمد على رؤية العين، ثم تفسير ماتراه العين تفسيراً خيالياً يقترب من الأسطورة بشكل أو بآخر، يضاعف المسئولية على الباحثين المحدثين في تنقية المرويات التاريخية وتنقيحها، وإذا كان ابن صاحب الصلاة يقترب من الخيال والأسطورة، فإن ابن القطان تبدو عنده الأسطورة واضحة، من خلال حديثة عن قصة البشير تحت أحداث عام "٥١٩هـ/١١٢٥م " وخروج ابن تومرت على الناس معرفًا بالبشير ذاك بأنه الونشريسى وأنه " أمي لا يقرأ ولا يكتب، وتعرفون أنه لا يثبت على آية، وقد جعله الله مبشراً لكم مطلعًا على أسراركم، وهو من آية الله تعالى في هذا الأمر!"، ويمضى ابن تومرت – فيما يروية ابن القطان – إلى ما هو أسوء من ذلك، فيذكر عن البشير هذا أنه مطلع على الأنفس محدث .

ثم تأتي ثالثة الأثافي في تمييز البشير للناس من خلال قوم عن يمينه، وهم من أهل الجنة، وقوم عن يساره، وهو ممن يشك في أمر ابن تومرت وإمامته، ثم تمتد المهزلة لما هو أكثر من ذلك، حيث يرد البشير أناسًا إلى فريق اليمين ويعلن توبتهم، وأنهم كانوا قبل ذلك كفاراً، فيعلن الواحد منهم – تحت وطأة خشيته من القتل – إن كل ماحدث به الإمام فهو حق، في حين يصدر أوامره بقتل من أبقاهم أهلا لليسار .. " فيقتل الأب ابنه، والابن أباه، والأخ أخاه " (٨٣)

ويتصل بالبشير أيضًا ما قاله ابن القطان عنه، وما حدث له في أعقاب موقعه البحيرة، حيث يقول عنه " وفي البحيرة، فقد البشير ولم يجده الموحدون ولا الملثمون حيًّا ولا ميتًا، فيقول الغلاة في أمره أنه رفع !" (٨٤)

وترتبط الأسطورة عند ابن القطان بذكره لمناقب ابن تومرت بشكل يفوق الخيال، وكأنه يبحث له عن سند تاريخي فيما فعله تجاه دولة المرابطين والخروج عليها؛ حيث يذكر على لسان أبي القاسم المؤمن أنه دخل رباطًا في أرض القدس يعمره رهبان الروم، وأنه وجد على السطر الأوسط السادس من رخامة بيضاء "اسم الإمام المهدي رضي الله عنه تعالى عنه وحده ؛ وعلى السطر السابع اسم الخليفة بعد الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما الآخذ عنه في حياته المسمى عبدالمؤمن بن على القيسى." (٨٥)

ومثل هذه المرويات التاريخية وأشباهها ليست من الكرامات ولا المناقب، وإنما تضفي على الشخصية التاريخية هالة من القداسة، ولا تتفق مع الدين والعقل، كما إن الشخصية التاريخية ليست ذاتًا مقدسة ولا شبه مقدسة، وإنما لها مالها وعليها ما عليها، وربما كانت هذه المرويات تعد تكئة يستند إليها ابن تومرت في تحقيق صراعه الدينى والمذهبي الذي يهدف من خلاله إلى تحقيق أهدافه السياسية البحتة، وساعده في ذلك مؤرخو البلاط الموحدي، خاصة ابن القطان وأمثاله .

ومن المرويات التاريخية التي تقترب من الأسطورة، واختلفت الآراء بشأنها وأوردها ابن القطان في كتابه ماجاء بشأن لقاء ابن تومرت بالإمام الغزالى(٨٦)، وتعقيب الثاني على حادث إحراق كتابه الإحياء على يد المرابطين وقوله: "اللهم مزق ملكهم كما مزقوه واذهب دولتهم كما حرقوه" وقول ابن تومرت له "على يدي إن شاء الله، ثم رد عليه الغزالي قائلاً " اللهم اجعله

على يده! فقبل الله دعاءه، فخرج أبو عبدالله بن تومرت من بغداد وصار إلى المغرب، وقد علم أن دعوة الله لا ترد " (٨٧)

وليس من الإنصاف القول بأن حادث إحراق كتاب الإحياء لا يعد من أخطاء السياسة المرابطية كما سبق القول؛ إلا إن الحدث لا يمكن أن يحكم عليه بمعزل عن ظروفه، وليس بالدعاء فقط يمكن إسقاط الدول، وإنما المروية المذكورة سابقًا هى من قبيل المرويات التي تبحث لابن تومرت عن سند في صراعه ضد المرابطين، كتلك التي تبشر بفتح مصر وأوردها ابن عبدالحكم في كتابه(٨٨)، ومثل هذا الاتجاه دفع بابن القطان إلى الحديث عن مناقب ابن تومرت، وكراماته، ومظاهر عصمته بشكل يمزج بين الحقيقة، والخيال، والأسطورة، وهو ماسبق توضيحه في الخاصية السابقة .

سادسًا : استخدام ألفاظ بربرية : –

من أهم الخصائص المشتركة بين ابن صاحب الصلاة – وابن القطان أن كلا منهما قد أورد في كتابه بعضًا من الألفاظ البربرية؛ كما هو الحال في حديث ابن صاحب الصلاة عند "ذكر حركة أمير المؤمنين رضي الله عنه من مراكش إلى زيارة قبر المهدي رضي الله عنه بتينملل ... (٨٩) " وكلمة تينملل كلمة بربرية، تأتي أحيانًا في كتاب ابن صاحب الصلاة مكونة من مقطعين " تين – ملل " وهي تعني ذات الحواجز .

كما يتحدث ابن صاحب الصلاة عن "وصول خبر الانتصار على ابن مردنيش لمراكش" ويذكر في هذا الشأن قوله " كنت صبيحة يوم الأحد الذي وصلت فيه هذه البشرى الفاتحة قد بكَّرت على العادة إلى منتيقمي "وكلمة منتيقمي كلمة بربرية مكونة من مقطعين" أمي نتكى "وتعني باب الدار، وهو الدار الذي كان يخرج منه الخليفة إلى سقائف أهل الجماعة (٩٠)

كما استخدم ابن صاحب الصلاة من الألفاظ البربرية أيضاً لفظة "مزوار" وقد استخدمها بصيغة الجمع عندما ذكر " أشياخ الموحدين ومزوارهم " والمعنى يشير إلى رئيس فرقة، وكان ابن تومرت قد جعل على كل عشرة من أصحابه نقيباً .(٩١)

أما ابن القطان المراكشي، فقد أورد هو الآخر بعضًا من الألفاظ البربرية، منها ما ارتبط – على سبيل المثال – بابن تومرت الذي يقول عنه أثناء تلقي تعليمة في المكتب:–

"وكان رضي الله تعالى عنه يلقب وهو في المكتب أسفو، ومعنى أسفو بالبربرية الضياء لملازمته إيقاد القنديل في المسجد للقراءة والصلاة "

ومن الألفاظ أيضا ما ارتبط بالدور التعليمي لابن تومرت، حيث يذكر ابن القطان عنه أنه كان"يخرج إلى الشريعة من خارجها،ويجلس على حجر مربع أمام محراب الشريعة، فيعظ الناس [٩٣]"

وكلمة الشريعة هنا كانت تطلق في الاستعمال المغربي على القاعة المخصصة لإلقاء الدروس والمواعظ في المساجد [٩٤]، ومن الألفاظ البربرية التي أوردها ابن القطان ما ارتبط بقبيلة (هنتاتة) وقول ابن تومرت لهم باللسان المغربي:– "النور النور في بلاد هرغة، وأنتم في الظلمة ياهْنِتِه" [٩٥].

وتأتي الألفاظ البربرية في كتابات الاثنين (ابن صاحب الصلاة – وابن القطان) استنادًا إلى أن العنصر البربرى يعد في مقدمة عناصر السكان في دولتي المرابطين والموحدين [٩٦]

سابعًا : عدم ذكر سلبيات العصر الموحدي بصورة مباشرة : –

لعل من المفيد هنا القول بأن "ابن صاحب الصلاة – وابن القطان" يعدان في طليعة مؤرخي البلاط الموحدي، ولا يُنتظر ممن يأخذ هذا اللقب أن يقوم بذكر سلبيات دولة الموحدين صراحة، ولهذا جاءت السلبيات في كتاباتهما موارية، وبشكل غير مباشر، وفي ثنايا رسائل الخلفاء الموحدين، ومقرونة أيضًا – رغم كونها عيوب وسلبيات –بالدعاء للخلفاء الموحدين، وقليل ما يبدى كلاهما برأيه في أحداث دولة الموحدين وخلفائهم وسلبيات عصرهم،ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما جاء في كتاب المن من سلبيات يمكن وضعها على النحو التالي:–

– الابتعاد عن الفكرة الدينية التي دش بها ابن تومرت دولته .

– إشارته إلى استبداد دولة الموحدين، وإسرافهم في الدماء .

– إشارته إلى الحجر على حرية الفكر، واستبداد نفر من الوزراء بجمع المال . [٩٧]

أما عن ابن القطان المراكشي "فيورد رسالة للخليفة الموحدي" أمين المؤمنين عبدالمؤمن بن على" وفي ثنايا هذه الرسالة، تبدو بعض سلبيات العصر الموحدي مثل : –

– الحديث عن المغارم والمكوس في العصر الموحدي.

– اشتطاط نفر من ولاة الموحدين في الغصب والتعدي على أموال الناس .

– ذكره لسلبيات طائفة الراقصين، وتعدي بعض الولاة على أموال الدولة . [٩٨]

وخارج عن القصد هنا مناقشة هذه السلبيات، ومن أراد التعرف عليها تفصيلًا، فعليه الرجوع إلى ما كتبه الباحث عن سلبيات العصر الموحدي في كتابات ابن صاحب الصلاة – وابن القطان ضمن دراسته الموسومة بـ " النقد الاجتماعي..."؛ ومن ثم فلا داعي لتكرار هذه الجوانب، فما يهم هنا – في إطار هذا البحث – هو الحديث عن خصائص الكتابة التاريخية، والبحث عن جوانب من هذه الخصائص لم أكتب عنها من قبل .

ثامنًا: الإعلام عن بعض طقوس خاصة من حضارة الموحدين:–

وأخيرًا فإن هذه الجزئية تبدو ضمن خصائص الكتابة المشتركة بين مؤرخَيْنَا "ابن صاحب الصلاة – وابن القطان". ولا أقصد هنا بالإعلام عن بعض طقوس خاصة من حضارة الموحدين ما تفردت به بعض كتابات متخصصة في الحديث عن الآداب والعلوم والفنون في عصر الموحدين، كما هو الحال عند الأستاذ المنوني وغيره كثير؛ إلا إننى أقصد هنا أن كليهما كان له فضل الإعلان عن بعض جوانب خاصة من حضارة الموحدين؛ ومن هذه الجوانب عند ابن صاحب الصلاة ما ذكره عما كان يقام في حضرة الخلفاء الموحدين من "قرع الطبول،وإطعام الطعام، واستقبال الأجناد، والتمييز، واستخدام الرايات، وما يسمى بالبركة والإنعام بالكسوة، فضلًا على استقبال العلماء والشعراء[٩٩]، واستدعاء العرب وتحريضهم على الجهاد؛ ويذكر ابن صاحب الصلاة في هذا الشأن الأخير ما قاله ابن طفيل يحث العرب على الجهاد ضمن قصيدة قال في مقدمتها: –

أقيموا صدور الخيل نحو المغارب لغزو الأعادي واقتناء الرغائب [١٠٠]

ونفس هذه الجوانب يمكن أن يجد الباحث بعضًا منها في كتابات ابن القطان؛ إلا إن ابن القطان يتميز عن ابن صاحب الصلاة في ذكر طبقات الموحدين – البالغ عددهم ثلاث عشرة طبقة [١٠١] – بشكل أكثر تفصيلًا عما ذكره ابن صاحب الصلاة .

تعقيب وتحليل ومقارنة ... وكلمة ختام:

... وبالحديث عن هذه الخاصية الأخيرة، أكون قد انتهيت من خصائص الكتابة التاريخية المشتركة عند ابن صاحب الصلاة – وابن القطان؛ لا أدعى أني قمت بإحصاء كافة هذه الخصائص، إلا إننى آمل أن أكون قد طرقت بابا يمكن أن يسهم في فتح آفاق

جديدة للبحث التاريخي، والكتابة التاريخية وخصائصها عند كثيرين من المؤرخين سواء أكانوا في المشرق الإسلامي، أو المغرب الإسلامي.

ولا يفوت القارئ والدارس المتخصص أن هناك مؤرخين آخرين ينتمون إلى العصر الموحدي من أمثال: عبدالواحد المراكشى صاحب المعجب، وأبى بكر الصنهاجى المعروف بالبيذق صاحب كتاب أخبار المهدى ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، وابن عذارى المراكشى صاحب البيان المغرب، والذي أستميح القارئ عذراً أن يُخرج من سياق المقارنة، لكونه متأخرًا عمن ذكرتهم، بمن فيهم ابن صاحب الصلاة، وابن القطان؛ ولأنه يعتمد على نقولاتهم، وهذا لا يقلل من أهميته، كما إن هناك كتابات مغربية تصنفه ضمن مصادر العصر المرينى الأول . (١٠٢)

ومن هنا يمكن القول – بعد مقارنة المرويات التاريخية عند المؤرخين المذكورين – أن ابن صاحب الصلاة كان أكثر مؤرخي العصر الموحدي تأدبًا وتحضرًا وتهذبًا في تعامله مع المرويات التاريخية التي تخص المرابطين، كما اتصف بأمانة علمية وتاريخية، فلم يمنعه ما قدمه الموحدون له من خدمات أن يذكر عن الخليفة "عبدالمؤمن بن على" أنه عزل ابنه " محمد " عن ولاية العهد، ويقول في شأنه ..." وذهب في جانبه الصدع من شرب الخمر وظهور السكر عليه " (١٠٣) .

وقد ذكر عبدالواحد المراكشي تجاه الحادثة المذكورة، وموقف الخليفة عبدالمؤمن من ابنه محمد قائلا .. " فأبى تمام هذا الأمر لمحمد هذا ما كان عليه من أمور لا تصلح معها الخلافة، من إدمان شرب الخمر، واختلال الرأي، وكثرة الطيش، وجبن النفس، وما يقال إنه مع هذا كان به ضرب من الجذام، فالله أعلم ... " (١٠٤)

وهذا يعني أن عبدالواحد المراكشي يعطى أسبابًا متعددة للحادثة الواحدة، فضلاً على ذكره لسلبيات العصر المرابطي، وسلبيات العصر الموحدي على حد سواء(١٠٥)؛ بما يشير إلى أن عبدالواحد المراكشي كان أكثر المؤرخين موضوعية في تعامله مع العصرين المرابطي والموحدي، ولعل الذي ساعده على ذلك أنه ألف كتابه في المشرق موضحًا سبب عدم إسهابه في ذكر أخبار ملوك الأندلس قائلا:–

"فالذي منعني عن استيفاء أخبارهم أو أخبار أكثرهم قلة ما صحبني من الكتب، واختلال معظم محفوظاتي." (١٠٦)

وفي هذا ما يدل على أن عبدالواحد المراكشي قد ألف كتابه بعيدًا عن الرغبة في شيئ، ودون الرهبة من شيئ، إذ لا رقيب عليه ولا سلطان إلا الله سبحانه وتعالى، وهو ما دفعني إلى وصفه بالموضوعية، إن لم يكن أكثر مؤرخي الموحدين موضوعية .

أما فيما يتعلق بالبيذق، فهو يعد أسوأ المؤرخين والكتاب تطرفاً في الدعوة الموحدية والكتابة لها، هذا إن لم يكن يُنظر إليه على أنه " كاتب خاص " بابن تومرت، سخر قلمه وكتابه لخدمته وخدمة أهدافه، وخدمة الدعوة الموحدية، بل إنه يقدم نفسه للقارئ ضمن العشرة الأوائل الذين بايعوا ابن تومرت(١٠٧) .

وإذا كان البيذق يعد أسوأ المؤرخين – أو الكتاب – تطرفاً في العصر الموحدي، فإن ابن القطان كان أكثر المؤرخين سوءاً في تطرفه للدعوة الموحدية والفارق بين الوصفين كبير؛ إلا إن هذا السوء في التطرف لم يمنعه – في غفلة منه – من ذكر أيادى بيضاء لدولة المرابطين في إقليش (١٠٨)، إما من قبيل الأمانة وهو ما استبعده، وإما من قبيل التسليم بحقائق التاريخ في سذاجة وغير وعي وهو ما قال به ا.د مكى – رحمه الله – في مقدمة تحقيقه لكتابه، وأوافق عليه تمامًا (١٠٩)

وفي هذا ما يعني أن البحث أمام من هو أكثر تأدباً وتهذباً وتحضراً في كتابته عن المرابطين، وهو ابن صاحب الصلاة، وطبيعى أن يكون هذا نتيجة تدينه وتقواه كما يقول بذلك أ.د التازي في مقدمة تحقيقه لكتابة (١١٠)، وهو ما يجعله أقل تطرفًا تجاه الموحدين إذا قيس بغيره .

وأمام أيضًا من هو أكثر موضوعية في كتابته عن المرابطين، وذكره لسلبيات عصر المرابطين، وعصر الموحدين على حد سواء مع بيان لسبب في ذلك حسبما تم توضيحه آنفاً، وهو عبدالواحد المراكشي في المعجب .

ولم يبق للبحث في كلمة الختام سوى وصف البيذق بأنه أسوأ الكتاب تطرفا في التأريخ والكتابة للدولة الموحدية، وقد ذكرت السبب في ذلك من قبل، ووصف ابن القطان بأنه أكثر المؤرخين سوءًا في التطرف للدعوة الموحدية، وإذا كان لابد للبحث من الوصول إلى نتائج من

خلال خصائص الكتابة التاريخية المشتركة عند ابن صاحب الصلاة، وابن القطان، فإن أهم النتائج هو ما اتفق فيه تمامًا مع ما قاله الأستاذ الدكتور حسين مؤنس – رحمه الله – في ذكره أن نقد ابن تومرت للمرابطين في مجموعة كان على غير حق، وأنه كان رجلًا جريئًا لا يخاف السلطة أو رجالها، وكان مغامرًا يطلب الكثير ويهون عنده الكثير في سبيل ذلك، وأنه كان يرمى إلى إثارة غضب الدولة ورجالاتها، فيتعرض للحبس والأذى ويزداد صيته ويكثر جمعه؛ لأن الناس في تلك العصور يستهويهم مثل هذا الشخص الذي يتحدى الحكومة سواء أكان على حق أم على باطل؛ لأن الفكرة العامة كانت أن رجال الدولة دائمًا على باطل، ومن ثم فكل ناقد لهم يكون على صواب[١١١]؛ وهو ما يعني أن ظهور ابن تومرت كان من سوء حظ المرابطين وهم في عنفوان جهادهم في سبيل الإسلام . [١١٢]

كما إن هناك ملاحظة لا أستطيع إغفالها في خاتمة البحث، وهي أن قصر مدة حكم المرابطين قد جعل التأريخ لها لا يتم إلا في العصر الموحدي، [١١٣] فجاءت خصائص الكتابة التاريخية تكيل المدح والثناء على ابن تومرت وخلفاء الموحدين؛ وتحاول تطبيق أحاديث المهدي المنتظر عليه، فضلاً على وصفه بالإمام، والعصمة، وتنسب إليه الخوارق والمعجزات والكرامات والعصم .

وفي الختام، آمل أن أكون قد وفقت في تخليص المرويات التاريخية عند (ابن صاحب الصلاة – وابن القطان) من أكداس الخوارق والمعجزات والأساطير، وكل ما يخالف العقل ويحول بينه وبين الوصول إلى الحقيقة، وهي جل أهداف الدراسة التاريخية ...

وعلى الله – سبحانه وتعالى – قصد السبيل

الحواشى والتعليقات

١) انظر . محمود إسماعيل : قضايا في التاريخ الإسلامي، منهج وتطبيق، دار العودة، مكتبة مدبولى، بيروت – القاهرة ١٩٧٤ ص ٨، ٩ .

٢) انظر . مقدمة تحقيق نظم الجمان، درسه وقدم له: محمود علي مكي، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١. ص ٣٨؛ ويشير أ.د. مكي – رحمه الله – إلى أن ابن القطان قد سبقه في الدولة الموحدية مؤرخون مهدوا له الطريق مثل :– أبي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق صاحب كتاب أخبار المهدي، وأبى القاسم المؤمن صاحب " فضائل المهدي" وابن الراعي، ثم ابن صاحب الصلاة موضوع بحثي مع ابن القطان .

٣) نادى أ . محمد زنيبر باستنطاق النصوص الواردة في المصادر التاريخية دون شطط، التزامًا بقانون "لا إفراط ولا تفريط " انظر. محمد زنيبر: حفريات عن شخصية يعقوب المنصور– العدد ٩، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب ١٩٨٢ ص ٢٣٠؛ وهذا في رأيي يمثل رؤية فلسفية مهمة، ينبغى أن تؤخذ في الاعتبار عند الباحثين المحدثين في كتاباتهم .

٤) هناك كتابات مخصصة عن دولة المرابطين لم تتكر أن الرعيل الأول من المرابطين شغلتهم الجوانب السياسية وأعمال القيادة والإدارة عن الإلمام بالثقافة العربية، إلا إن هذا الأمر تغير مع بداية الجيل الثانى من المرابطين، فازدهر الشعر وتعدد الشعراء، وازداد عدد النبهاء والكتاب، وازدهرت العلوم والآداب، وقام المرابطون باستقدام العلماء والفنانين والفقهاء لحضور مجالسهم، أو لتشييد عمائرهم، أو لتأديب بينهم . انظر . حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين " صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط٢ دار الفكر العربى ١٩٩٦ ص ٣٨٤ – ٣٨٩ ؛ الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ط ٣ دار الفكر العربى ١٩٨٦ . ص ١٦٢.

٥) كتب أ . د عبدالجليل التميمى مقالاً بهذا العنوان، أشار فيه إلى التطور الذي دفع بعلم التاريخ إلى استيعاب عديد من الدراسات ورأيت من الأمانة إرجاع الكلمات إلى من استخدمها دون أن يكون القصد إبراز ذاتية الباحث . انظر. عبدالجليل التميمي: من أجل كتابه علمية لتاريخ المغرب العربى، المجلة التاريخية المغربية، عدد خاص عن المنهجية التاريخية ومصادر التاريخ المغربي، عدد ١٣–١٤ تونس، يناير ١٩٧٩ . ص ٦– ٧ .

٦) انظر . عبدالواحد المراكشي: محيي الدين أبي محمد ت " ٦٤٧هـ/١٢٤٩م" المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق : محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٠٠؛ مجهول: مؤلف أندلسى من أهل ق "٨هـ/١٤م" كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، عبدالقادر زمامة، ط١ دار الرشاد الحديثة، الرباط ١٩٧٩ . ص ١٥٦ ؛ حسن على حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين" ط ١، مكتبة الخانجى ١٩٨٠ ص ٤٦؛ وللتعريف ببلاد المغرب عامة، وعلى أى شئ تطلق الكلمة يمكن الرجوع الى محاضرات ألقاها الأستاذ الفاسى بمعهد الدراسات العربية، انظر . محمد الفاسي: التعريف بالمغرب " وهو مقدمة لتاريخ الأدب العربى بالمغرب الأقصى " محاضرات قسم الدراسات الأدبية واللغوية، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية ١٩٦١ . ص ٧–١٢؛ وانظر في التعريف الموجز لدولة الموحدين. ص ٤٤ – ٤٥ للأستاذ الفاسي.

٧) انظر. ابن تومرت : محمد بن عبدالله ت "٥٢٤هـ/١١٣٠م" كتاب أعز مايطلب، نشر : جولدتسهير، الجير ١٩٠٣ ص ٢٦٢ – ٢٦٤؛ وابن تومرت هو محمد بن عبدالله من أهل سوس، ولد بها بضيعة تعرف باسم إيجلى أن وارغن، وهو من قبيلة تسمى هرغة من قبائل المصامدة . انظر في التعريف به . البيذق : أبو بكر بن على الصنهاجي "عاصر أوائل دولة الموحدين" – كتاب أخبار المهدى ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، نشر: ليفي بروفنسال، بولس كتتر الكتبى بباريز ١٩٢٨ . ص ٤، ١٢ من القسم الأول من كتاب البيذق فيما يتعلق برسائل ابن تومرت ؛ ص ١٨–٤٨ فيما يتعلق بالتعريف بابن تومرت وآله ونسبه وأخوته وقرابته ضمن القسم الثانى الذي يعتمد فيه البيذق على كتاب "المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب" لإبراهيم بن موسى بن محمد الهرغى، وكلاهما أسوأ من الآخر في انتماءه للموحدين؛ ولمزيد من التعريف بشخصية ابن تومرت يمكن الرجوع – على سبيل المثال – إلى . عبدالواحد المراكشي. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٤٥؛ الزركشي: أبو عبدالله محمد ت " أواخر ق ٩هـ/١٥م" – تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط ٢ المكتبة العتيقة تونس ١٩٦٦ . ص ٣–٧ ؛ مجهول : كتاب الحلل الموشية ص ١٠٣ – ١٠٥ .

٨) ابن أبى زرع: أبو الحسن على بن عبدالله ت "٧٢٦هـ/١٢٢٥م" الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة دار المنصور، الرباط ١٩٧٢. ص ١٧٣؛ أحمد مختار العبادى: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٢ ص ١٠٨؛ ابتسام مرعى خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامى (٥٢٤ – ٩٣٦هـ/١١٣٠ – ١٥٢٩م) دار المعارف ١٩٨٥ ص ٧٨، ٧٩؛ وسوف يتم مناقشة الأحاديث النبوية الواردة في شأن المهدى المنتظر، والتى أساء ابن تومرت تأويلها واستخدامها في مكانها عند خصائص الكتابة التاريخية ؛ وأيا كان الحال فالرمى بالكفر لايقره الإسلام؛ وفي حديث النبى – صلى الله عليه وسلم – عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء به أحدهما "
انظر: البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت " ٢٥٦هـ/٨٧٠م" صحيح البخاري، تحقيق: طه عبدالرؤف سعد، دار الاعتصام، ص ١٢٥٤ حديث رقم ٦١٠٣ (باب من كفر أخيه بغير تأويل فهو كما قال)؛ وانظر أيضًا حديث شريف رقم ٦١٠٤ في نفس الباب .

٩) ليس من القصد هنا الإسهاب في بيان قيام دولة الموحدين إلا بالقادر الذي يخدم موضوع البحث، ومن المعروف– لدى الدارسين والمتخصصين – أن بدايات دولة الموحدين كانت سنة "٥٢٤هـ/ ١١٢٩م" في أعقاب موقعة البحيرة التى هُزم فيها الموحدون على أيدى المرابطين، وأعقب الهزيمة وفاة ابن تومرت في نفس العام المذكور، ثم كان دخول الخليفة الموحدى "عبدالمؤمن بن على" الى مدينة مراكش سنة "٥٤١هـ/١١٤٦م" بداية لتحول ولاء الأندلسيين الى الموحدين، لينتهى بذلك صفحة تاريخية لدولة المرابطين الباسلة، والتى امتد قيامها بالمغرب منذ عام "٤٤٨هـ/١٠٥٦م" أو قبلها بسنوات قلائل على اختلاف الآراء في ذلك، ثم قيامها بالأندلس في أعقاب موقعة الزلاقة سنة "٤٧٩هـ/١٠٨٦م" وحتى سقوطها سنة "٥٣٩هـ/١١٤٤م" فيما يعنى أنها حكمت بالمغرب مايقرب من تسعين سنة، وبالأندلس مايقرب من ستة وخمسين سنة حسبما يقول صاحب الحلل في ص ١٤٠؛ وهى التى امتد ملكها "على

عهد أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين" الى مدينة إفرنجة " قاصية شرق الأندلس " والى مدينة أشبونه على البحر المحيط من غرب الأندلس، وملك بعدوة المغرب من جزائر بنى مزغنة إلى طنجة، إلى آخر السوس الأقصى إلى جبال الذهب من بلاد السودان، وقد جاء هذا الموجز المختصر في تقديم الباحث لعصر المرابطين والموحدين ضن الدراسة عن النقد الاجتماعى، في الفصل الثالث، ص ١٦١ – ١٣٤؛ والخليفة عبدالمؤمن بن على هو أول خلفاء دولة الموحدين بعد ابن تومرت، من قبيلة كومية، كان مولده بضيعه من أعمال تلمسان تعرف بتاجرا، انظر في ترجمته واختلاف الآراء في نسبه . البيذق: أخبار المهدى ..، ص ٢١، ٢٢، المراكشى، المعجب ص ٢٦٥ ؛ وجاء في العرض الموجز السابق، تلميح بقيام دولة المرابطين في طورها المغربى، واختلاف الآراء حوله، وفي هذا الشأن يمكن الرجوع على سبيل المثال الى . سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى، ج٤، ط ١ منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٩٥ . ص ١٦٤ – ١٦٨ .

١٠) انظر . محمد المنونى : حضارة الموحدين، ط ١، دار توبقال المغرب ١٩٨٩ ، ص ١٣.

١١) انظر . عبدالواحد المراكشى : المعجب، ص ٢٢٧.

١٢) انظر . ابن أبي زرع : الأنيس، ص ١٣٩ ؛ ومدينة مراكش تعد أكبر مدن المغرب الأقصى ذكرها الإدريسى في كتابه، وقال عنها صاحب الاستبصار أنها حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها، وهى مدينة عظيمة في بسيط من الأرض، أسسها يوسف بنتاشفين سنة "٤٥٩هـ/١٠٦٦م" واختط سورها ولده على سنة "٥١٤هـ/١١٢٠م" انظر عنها . الإدريسي: أبو عبدالله محمد ت "٥٦٠هـ/١١٦٤م"، وصف أفريقيا الشمالية "مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تصحيح ونشر: هنرى بيريس، الجزائر "١٣٧٦هـ/١٩٥٧م. ص ٤٣–٤٥ ؛ كاتب مراكشي من كتاب ق "٦هـ/١٢م " كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق : سعد زغلول عبدالحميد، مشروع النشر المشترك (بغداد– المغرب) ١٩٨٥ ص ٢٠٨ –٢٠٩؛ ياقوت: شهاب الدين أبي عبدالله ت "٦٢٦هـ/١٢٢٨م" معجم البلدان، مج٤، ط٢، دار صادر بيروت ١٩٩٥ ص ٩٤ .

١٣) عن المصادر التاريخية المدونة في عصر المرابطين يمكن الرجوع إلى . محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب " من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث " ج١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٨٣ . ص ٢٨–٣٧

١٤) انظر . يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق : محمد عبدالله عنان، ج٢، ط ٢، مكتبة الخانجي ١٩٩٦ . ص ٢٦١ .

١٥) انظر . المنونى : حضارة الموحدين، ص ٤٧ ؛ وعن المصادر التاريخية المدونة لعصر الموحدين يمكن الرجوع تفصيلًا إلى ما كتبه أ . المنونى في كتابه : المصادر العربية لتاريخ المغرب، ص ٣٨– ٦٤ ؛ وفي هذا كله مايدل على ازدهار علم التاريخ عند الموحدين .

١٦) انظر . مقدمة تحقيق نظم الجمان، ص ٣٨ ؛ وهو ماسبق الإشارة اليه في حاشية رقم (٢)

١٧) انظر . ابن عبدالملك المراكشى: أبو عبدالله محمد ت " ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م " السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصله، ق ١، تحقيق : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ص ٣٢ ترجمة رقم ٧٠ ؛

Pons Boigues (Francisco): Ensaya Bio– Bibliografico Sobre los Historiadores Y Geograpos Arabigo– Españoles., Madrid 1898 . P 245 – 246 n . 199

١٨) انظر. ابن الآبار: أبو عبدالله محمد بن عبدالله ت "٦٥٨هـ/١٢٦٠م" كتاب الحلة السيراء، مج٢، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢ دار المعارف ١٩٨٥. ص ١٥٤ حيث يقول "وحكى أبو محمد عبدالملك بن أحمد بن صاحب الصلاة البلاجى"؛ وفي ص ٢٦٦ يذكره بقوله "أبو مروان ابن صاحب الصلاة الإشبيلى " .

١٩) انظر . المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج١، ص ٥١ .

٢٠) انظر . عبدالسلام بن عبدالقادر ابن سودة المرى : دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج١، ط ٢ دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٦٠ . ص ١٣٥، ١٣٦

٢١) انظر . أحمد مختار العبادي: دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب العدد : ٥ تطوان ١٩٦٠ ص ١٤١.

٢٢) انظر . مقدمة كتاب: المن بالإمامة، تحقيق : عبدالهادي التازي، ط٣ دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧ . ص ١٩، ٢٠؛ وانظر في ترجمة ابن صاحب الصلاة والتعريف بكتابه أيضًا: عباس بن إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج٨، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٧٦ ص ٣٦١ ترجمة رقم ١٢٣٤ ويسميه (عبدالملك بن محمد بن صاحب الصلاة الباجى وانظر في التعريف بابن صاحب الصلاة وكتابه أيضًا. آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى . ترجمة : حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية دون تاريخ، ص ٢٤١، ٢٤٢ ؛ عبدالكريم كريم : دراسة في مصادر التاريخ المغربي، ج ٩، الحلقة الثانية، الثقافة المغربية ١٩٧٣ . ص ٣٤–٣٧ ؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص ١٣٣.

٢٣) قام أ . د . عبدالهادي التازي بتتبع كثير من مراحل حياة ابن صاحب الصلاة في كتابه المن، مشيراً إلى بداية ظهورة في قرمونة من إشبيلية سنة " ٥٥٧هـ/١١٦١م" عند فتحها على يد الموحدين، ثم يظهر في نفس العام في قرطبة، كما كان ضمن وقد كتاب إشبيلية الذين خرجوا لملاقاة السادة الموحدين . ويظهر مرة أخرى في جبل طارق سنة " ٥٦٠هـ/١١٦٤م "ضمن الشعراء الذين هنأوا السيد أبى حفص بقطعة من شعره، وينتقل من جبل طارق إلى سبتة، ومنها إلى فاس، ثم مراكش التى قام فيها ردحًا من الزمن، استفاد خلاله من بعض كبار علماء البلاط الموحدي من أمثال الفقيه أبى الحسن على بن الإشبيلي الذي سمع عليه قراءة عقيدة التوحيد، والعقيدة المباركة المسماه بالطهارة، وكتاب أعز ما يطلب. ثم يعاود الظهور مرة أخرى ضمن جملة الكتاب الذين الذين صحبوا الشيخ ابى عبدالله محمد بن إبراهيم عند ولايته لإشبيلية؛ وهو الذي سبق التعرف عليه في مسجد قرمونة، ويظهر في حضرة مراكش سنة " ٥٦٦هـ/١١٧٠م" لتقديم التهانى بشفاء الخليفة الموحدي أبى يعقوب يوسف الذي أغدق عليه تقديرًا لخدماته ووفائه لدولة الموحدين، ثم يظهر في نفس العام أيضًا في صحبة الخليفة في مدينة إشبيلية، كما يشير د. التازي إلى مرافقته للطبيب أبى بكر بن زهر،

والفليسوف ابن رشد في زيارتهم لقبر ابن تومرت، وقبر عبدالمؤمن بن على بتينملل . وتضفي عليه الدولة الموحدية تقديرًا خاصًّا عند كبر سنة عندما تعطيه الخطبة بجامع إشبيليه الأعظم متقاسمًا لها مع أبي الحكم عبدالرحمن بن حجاج، ومثل هذه التفاصيل تساعد كثيرًا في توضيح موقفه من دولة الموحدين، وتفسر خصائص الكتابة التاريخية لديه . عن تتبع مراحل حياة ابن صاحب الصلاة من خلال كتاب المن . انظر . مقدمة تحقيق المن، ص ١٠-١٩ .

٢٤) انظر . مقدمة تحقيق كتاب المن . ص ٧.

٢٥) انظر . مقدمة تحقيق كتاب المن : ص ١٨ وحاشية رقم ٢ من نفس الصفحة للتعريف بابن حجاج المذكور .

٢٦) انظر . مقدمة تحقيق نظم الجمان، ص ٧-٣٢ .

٢٧) جاء في ترجمة الأب في بعض المصادر أنه: علي بن محمد بن عبدالملك بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى الكتامي الحميدي، من أهل فاس، قرطبي الأصل، أبو الحسن، يعرف بابن القطان، تعدد المصادر شيوخه ومن تعلم على يديهم ... وكان أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لرجاله وأشدهم عناية بالرواية مع تفنن ومعرفة ودراية، جمع برنامجاً مفيداً في شيوخه، وهو رأس طلبة العلم بمراكش ونال دينا عريضة في خدمة السلطان، وهو مالكى المذهب، له كتب في علم الحديث .. وامتحن في فتنة حدثت بالمغرب أول سنة "٦٢١هـ/١٢٢٤م" وخرج من مراكش، وعاد إليها، ثم اضطرب أمره إلى أن توفي بسجلماسة، في ربيع الأول سنة " ٦٢٨هـ/١٢٣٠م" . وقد قام د . مكى – رحمه الله – بتتبع مراحل حياة الأب بشئ من التفصيل مشيراً إلى أنه كان وثيق الصلة بخلفاء الموحدين، وكان أولهم يعقوب المنصور "٥٨٠ – ٥٩٥هـ /١١٨٤ –١١٩٨م " وهو أول من قربه، ثم جاء ابنه الناصر، ثم ابنه المستنصر وهو على هذا الحال من الحظوة والمكانة، حتى كانت وفاة الخليفة المستنصر "٦٢٠هـ/١٢٢٣م"، ونودى بتقديم عبدالله العادل بن يعقوب المنصور، في حين نادى البعض بتقليد عبدالواحد أخى المنصور، وكان ممن نادى به خليفة " ابن القطان الأب "، ورغم تولية الأخير الخلافة إلا أنه لم تمض على خلافته شهران حتى ثار عليه العادل وقتله بعد ذلك . وفي عام " ٦٢٤هـ/١٢٢٦م" قُتل العادل بعد أن ثار عليه أخوه أبو العلاء إدريس متلقبًا بالمأمون، الذي دخل في صراع مع أبى زكريا يحيى الملقب بالمعتصم بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور، وكان ابن القطان في معسكر المعتصم متوليًا القضاء في مراكش، وهو ما أدى إلى نكتبه عند هزيمة المعتصم، ودخول المأمون إلى مراكش، فاقتحمت جيوش المأمون المدينة ونهبت داره، وذهب كل ما كان قد جمعه من أموال وكتب، ثم كانت وفاته على نحو ما سبق ذكره . وكان ابن القطان الأب من أكبر دعاة الموحدين وأبرز رجال دولتهم، يُسمع الطلبة " عقيدة التوحيد " وأعز ما يطلب" وهما من كتب ابن تومرت ، إلا إنه حظى بكراهة أهل مراكش بعدما أشار على المستنصر مشاطرة وجوه دولته في أموالهم، وبلغ به درجة التملق حدًّا لا مزيد عليه في مدحه يعقوب المنصور في وضعه لمصحف سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بين يديه قائلًا : –

وناهيك من صحف كرُمت بحجر الكريم سليل الكرام

ويضاف إلى سلبياته إفراطه في الكبر حتى أنه كان يترفع أن يبدأ أحدًا بالسلام، ولا يرده على من يبدأ به، دائم الغض من أهل العلم، متتبعًا لسقطاتهم، بالإضافة إلى قتله الشيخ العثماني وابنه، والاستيلاء على داره وممتلكاته، وقد أفضت في التعريف بسلبيات الأب " ابن القطان "؛ لأنها هي نفسها سلبيات ابن القطان " الابن " والتي تؤثر على خصائص الكتابة التاريخية لديه .

انظر . بعض من ترجم له وعرف به، وفي الأحداث المذكورة أيضًا. ابن الزبير: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ت "٧٠٨هـ/١٣٠٨م" كتاب صلة الصلة، القسم الرابع، تحقيق: عبدالسلام الهراس، سعيد أعراب، المملكة المغربية ١٩٩٤ ص ١٣٧– ١٣٨ ترجمة رقم ٢٨٥؛ ابن القاضى: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ت "١٠٢٥هـ/١٧٩٠م" جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، القسم الثاني، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٤. ص ٤٧٠ – ٤٧١ ترجمة رقم ٥١٩ ؛ التنبكتي: أبو العباس أحمد بابا ت "١٠٣٦هـ/١٦٢٦م" نيل الابتهاج بتطريز الديباج، اشراف وتقديم : عبدالحميد عبدالله الهرامة، جزءان ١–٢، منشورات كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس . الجماهيرية الليبية ١٩٨٩ . ص ٣١٧ ترجمة رقم ٤٠٥ ؛

Pons Boigues: Ensoya Bio–Bibliograpico Sobre Los Historiadores P . ؛ 276 n. 233

مقدمة تحقيق نظم الجمان، ص ٧–٣٢ .

٢٨) انظر . مقدمة تحقيق نظم الجمان، ص ٢٦، وانظر في التعريف الموجز بخلفاء الموحدين بدءًا من "يعقوب المنصور" حتى المأمون. الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ١٥–٢٣؛ والمأمون هو الذي أطاح بالمعتصم الذي كان ابن القطان الأب مواليا له .

٢٩) ابن القطان الابن هو مؤلف نظم الجمان، وهو أبو محمد حسن بن على بن القطان، وقد جاء التعريف به في أكثر من مصدر، فضلا على ما ذكره د . مكى في التعريف به، وإزالة الغموض فيما بينه وبين الأب . انظر. مجهول: مؤلف قام بتأليف كتابه " ٧١٢هـ/١٣١٢م "تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، ط ١ جهاد للنشر والتوزيع ١٩٩٨م ص٦٧ ويسميه أبو على حسين بن القطان الكتامي مؤلف كتاب نظم الجمان، وعرف به ابن عذارى في التعريف بالخليفة المرتضي الموحدي قائلا عنه:– وكان محبًا في مطالعة الكتب وتواليفها وتصانيفها، فألف له الفقيه أبو محمد بن القطان جملة من الكتب الحفيلة الجليلة وأمده بالدواوين العظيمة والخبرات الجليلة، فمنها: " كتاب نظم الجمان، وواضع البيان، فيما سلف من أخبار الزمان " انظر . ابن عذارى المراكشي: عاش أوائل ق " ٨هـ/١٤م" "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتانى، محمد بن تاويت، محمد زنيبر، عبدالقادر زمامة، ط ١ دار المغرب الإسلامي ١٩٨٥. ص ٤٤٦؛ وانظر أيضًا في التعريف بابن القطان الابن، مقدمة نظم الجمان، ص ٣٧–٣٨ .

٣٠) انظر . مقدمة تحقيق نظم الجمان، ص ٣٦؛ والخليفة المرتضى هو أبو حفص عمر بن السيد أبى إبراهيم بن أمير المؤمنين أبى يعقوب يوسف بن الخليفة عبدالمؤمن . وكانت مدة خلافته " ثمان عشرة سنة " حيث حكم من ٦٤٦هـ –٦٦٥هـ/ ١٢٤٨– ١٢٦٦م " بما يشير إلى أنه لم يتبق على سقوط دولة الموحدين إلا

ثلاث سنوات، حيث خرج عليه إدريس الملقب بأبى دبوس، وفي عهده كانت نهاية الخلافة الموحدية "٦٦٨هـ/١٢٦٩م" انظر في التعريف بالخليفة المرتضى . ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٨٧، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٧ ؛ مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص ١٦٨ – ١٦٩ .

٣١) انظر . مقدمة تحقيق نظم الجمان، ص ٣٨؛ ومن المعروف أن عوامل الضعف والسقوط قد بدت واضحة في الدولة الموحدية منذ عهد الخليفة المستنصر أول خلفاء الموحدين الضعاف، وقد أوضح أ . د سالم هذه العوامل في عناصر متعددة . انظر . السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٢ ص ٧٤٠

٣٢) أورد عنوان الكتاب كاملاً د . التازى في مقدمة تحقيقه لكتاب المن .
انظر . مقدمة تحقيق المن بالإمامة، ص ٢٧ ؛
Melchor Antuña: Sevilla Y sus Monumentos Arabes. Escorial 1930 P . 29
أثناء التعريف بابن صاحب الصلاة ومؤلفاته .

٣٣) في تفسير الآيات القرآنية الكريمة من الآيات من رقم ١–٦ من سورة القصص. انظر. ابن كثير الدمشقى: الإمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل ت "٧٧٤هـ/١٣٧٢م" تفسير القرآن الكريم، ج٣، مكتبة دار التراث دون تاريخ ص ٣٧٩، ٣٩٠

٣٤) هو الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن بن على، تولى الحكم سنة ٥٥٨ هـ /١١٦٢ م " واستمرت خلافته مايزيد قليلا عن إحدى وعشرين سنة، وكانت وفاته سنة " ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م"
انظر في التعريف به . الزركشى : تاريخ الدولتين، ص ١٣– ١٤؛ ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٨٣، ٨٤، ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد ت "٦٨١هـ/١٢٨٢م" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج ٧، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر بيروت ص ١٣٠ – ١٣٤ ترجمة رقم ٨٤٥ .

٣٥) هناك من الآراء مايشير إلى أن حركة ابن تومرت وخروجه على المرابطين، كان من نتيجتها أن ماتت دولة المرابطين وهى في عز شبابها . انظر . محمد عبدالهادى شعيرة: المرابطون وتاريخهم السياسي (٤٣٠ – ٥٣٩هـ) ط ١ مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٩ . ص ١٤٢؛ وفي هذا ما يعني أن الجانب الموحدي كان هو المعتدي.

٣٦) القرآن الكريم، سورة هود، آية رقم ١١٣.

٣٧) القرآن الكريم، سورة المجادلة، آية رقم ٢٢؛ وقد أوردت كتب أسباب النزول أن هذه الآية الكريمة نزلت فيما حدث به ابن جريج أن أبا قحافة سب النبى – صلى الله عليه وسلم – فصحكه أبو بكر صكة شديدة سقط منها، وروى عن ابن مسعود أنه قال . نزلت هذه الآية في أبى عبيدة بن الجراح قتل أباه عبدالله بن الجراح يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وفي على وحمزة قتلوا عتبه وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبه يوم بدر، وفي هذا ما يعنى أن الآية نزلت في الصحابة رضى الله عنهم الذين لم يترددوا قتال من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو

عشيرتهم، فأنى هذا مما ينطبق على المرابطين وتحريض ابن تومرت على قتالهم؟! انظر. النيسابورى: الإمام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى ت "٤٦٨هـ/١٠٧٥م" أسباب النزول، دراسة وتحقيق : السيد الجميلى، دار الريان للتراث دون تاريخ. ص ٣٤٩ ؛ السيوطى : الإمام جلال الدين عبدالرحمن ت "٩١١هـ/١٥٠٥م" في أسباب النزول، تحقيق : محمد محمد تامر، ط ١ دار التقوى، ١٤٢١ هـ . ص ٣٢٨ – ٣٢٩

٣٨) القرآن الكريم، سورة الممتحنة – آية رقم ١ ؛ ولهذه الآية الكريمة قصة شهيرة جاءت في كتب أسباب النزول، ونزلت في سيدنا "حاطب بن أبى بلتعة" رضي الله عنه، ولم يكن المرابطون أعداءً لله تعالى ورسوله . انظر . النيسابورى: أسباب النزول، ص ٣٥٤ – ٣٥٦ ؛ السيوطى: المصدر السابق، ص ٣٣٢ – ٣٣٣ .

٣٩) ابن القطان: أبو محمد حسن بن على ت منتصف ق "٧هـ/١٣م" نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق ودراسة : محمود على مكى، ط ١ دار الغرب الإسلامى ١٩٩٠. ص ١٠٠؛ ومثل هذا الاتجاه في الهجوم على المرابطين يبدو أكثر سوءًا عند البيذق، وهو المؤرخ الموحدى، وأحد العشرة من أصحاب ابن تومرت، وذلك من خلال ما أورده من رسائل لابن تومرت قال فيها عن المرابطين أنهم " أشد في الصد عن سبيل الله من إبليس اللعين .. وأنهم حرفوا الكلام عن مواضعه ... واتبعوا خطوات الشيطان، وارتكاب الآثام والإصرار على الكبائر والفجور، وأكل الدنيا بالدين وأكل أموال الناس بالباطل، وأنهم الفئة الباغية والشرذمة الطاغية الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، هم الذين استزلهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمان .. ويعتبر أكثرهم فاسقين..." مبتعدين عن الحق وأن الموحدين قادمين اليهم"... إلى غير ذلك من التشبيهات التى لا يخفي على القارئ أنها تستند إلى آيات قرآنية كريمة، أسيء استخدامها وتأويلها ضد المرابطين، وأوردها ابن تومرت نفسه في كتابه "أعز ما يطلب" مستخدمًا نفس الآيات القرآنية المستخدمة في هذه الجزئية، ومنها قوله تعالى ... "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا..." الآية؛ ولعل المتأمل لكلمات ابن تومرت يدرك مدى استغلاله السيئ وتأويله للآيات القرآنية في غير موضعها طبقا لما جاء في مقدمة سورة الفجر في قوله تعالى..." وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد" الآيات ١٠ – ١٢ انظر . البيذق: كتاب أخبار المهدى، ص ٤، ١٢؛ ابن تومرت: كتاب أعز ما يطلب، ص ٢٦٤ .

٤٠) لا يخفي على فطنة القارئ ما كتب تحت عنوان "الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها" استخدمت المصطلح نفسه مع دولة المرابطين.

٤١) لعب المرابطون دورًا مهمًا في كثير من المواقع الحربية، منها موقعة إقليش التى دارت بين المسلمين والقشتاليين في الأندلس على عهد "على بن يوسف تاشفين "سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م"، وكذا موقعة إفراعة التى حدثت سنة "٥٢٨هـ/١١٣٣م" فضلاً على موقعة الزلاقة سنة "٤٧٩هـ/١٠٨٦م". ولا يعنى البحث هنا الإسهاب في ذكر التاريخ الحربى لدولة المرابطين والمواقع التى خاضتها، فقط يعنينى هنا ما ذكره أ . د . حسين مؤنس أن المؤرخين قدامى ومحدثين لم يخطئوا في الحكم على دولة إسلامية كما أخطئوا في الحكم على دولة المرابطين، مشيراً إلى دورهم التاريخي والحضاري الواضح . انظر . حسين مؤنس :

سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج ٢، عدد ١ – ٢، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م. ص ٥٥؛ وقد أشاد أ . عنان بدور المرابطين الناجح في الصراع ضد الممالك الإسبانية النصرانية، وأنهم استطاعوا على وجه العموم حتى أواخر عهدهم الذي استطال بالأندلس زهاء خمسين عاماً أن يحافظوا على رقعة الوطن الأندلسى، ولم يصدع من كفاحهم سوى قيام ابن تومرت والموحدين عليهم . انظر. محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم الأول . عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ط ٢، مكتبة الخانجى ١٩٩٠ ص ٢٥–٢٧ وفي الصفحات ذكر لمواقع المرابطين الشهيرة .

٤٢) أشادت كتابات متخصصة بدور المرابطين وجهودهم في القضاء على برغواطة، وعلى جهودهم أيضًا في القضاء على طائفة شيعية ببلاد السوس الأقصى يقال لهم البجلية نسبة إلى على بن عبدالله البجلى الرافضى . انظر . حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ١٨٢ – ١٨٤؛ وبرغواطة هم هراطقة المغرب الأقصى، بدأ ظهورهم في أوائل ق "٢هـ/٨م" واتخذوا من إقليم تامسنا مقرًّا لهم، وكانت بدايتهم على يد صالح بن طريف، وهناك الكثير من الدراسات التى فندت معتقداتهم الفاسدة . انظر على سبيل المثال منها. محمود إسماعيل : مغربيات " دراسات جديدة " فاس ١٩٧٧ ص ٥٣؛ محمد الطالبى وإبراهيم العبيدى: البرغواطيون في المغرب، ط ١، تانسيفت، الدار البيضاء ١٩٩٩ ص ٦–٢٨ ؛ سحر سالم: من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٣ ص ٣–٢٥ .

٤٣) انظر . ابن القطان : نظم الجمان، ص ١١٧؛ والآية القرآنية الكريمة من سورة الأنبياء، آية رقم ١٠٥ ؛ وفي تفسير الآية القرآنية المذكورة، يذكر الإمام ابن كثير – رحمه الله – عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أن الله –سبحانه وتعالى– أخبر– في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض – أن يورث أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – الأرض، ويدخلهم الجنة وهم الصالحون، وهو ما يعنى أن الصلاح لا يقتصر على ابن تومرت ودولة الموحدين، مع الأخذ في الاعتبار أن جميع أمة المسلمين " موحدون " . انظر . ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٠١ .

٤٤) انظر ابن القطان : نظم، ص ١١٧، ١١٨ ؛ والآية القرأنية الكريمة من سورة الأنفال، آية رقم ٦٣ ؛ وفي تفسير الآية المذكورة ما يشير إلى الحروب الكثيرة في الجاهلية بين الأوس والخزرج، حتى قطع الله – سبحانه وتعالى – ذلك الشر بنور الإيمان، وأبان فضله على نبيه – صلى الله عليه وسلم – المخاطب في الآية الكريمة المذكورة . انظر ابن كثير . تفسير، ج ٢، ص ٣٢٣ .

٤٥) انظر . ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ٣٤٠، ٣٤١ ؛ وقد سبق التعريف بالخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن في حاشية رقم ٣٤ ؛ أما الحديث الشريف المذكور فقد ورد ذكره في شعب الإيمان للإمام البيهقى، وهو حديث خيثمة عن عبدالله بن مسعود عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال " إن القلوب جُبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها " . انظر . البيهقى : الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين ت " ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥ م " شعب الإيمان، تحقيق : محمد السعيد بسيونى زغلول، مج ٦، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٩ هـ /٢٠٠٨ م " ص ٤٨١ حديث رقم ٨٩٨٤ .

٤٦) انظر . ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ٣٤١ .

٤٧) انظر . مقدمة تحقيق كتاب المن بالإمامة، ص ١٤، وقد سبق الحديث عن تتبع مراحل حياة ابن صاحب الصلاة في حاشية رقم ٢٣ بما يفيد في هذه الجزئية .

٤٨) انظر . ابن القطان : نظم الجمان، ص ٩٧ ؛ وفي حديث ابن القطان إشارة الى حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – ... عن عكرمة عن ابن عباس قال : لعن النبى – صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال " . انظر . الإمام البخارى : صحيح البخارى، ص ١٢٢٤ حديث رقم ٥٨٨٥ باب : " المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال " ؛ ومثل هذه الأقوال يجدها الباحث بشكل أكثر فجاحة عند ابن تومرت نفسه، حيث يخصص ابن تومرت " مهدى الموحدين " بابا ضمن كتابه في بيان طوائف المبطلين من الملثمين، فيذكر بعد وصف المرابطين بأنهم حفاة، عراة، رعاء الشاء والبهم، ان نساءهم يجمعن شعورهن فوق رؤوسهن، وأنهن كاسيات عاريات، مائلات لغيرهن، يغدون في سخط، ويروحون في لعنة، وقد يكون من المرجح أنها نقولات لابن القطان عن ابن تومرت وكتاب أعز ما يطلب . انظر . ابن تومرت : كتاب أعز ما يطلب، ص ٣٦٢ – ٣٦٤، ص ٢٥٨، ٢٥٩ .

٤٩) انظر . محمد بن عبدالسلام بن عبود : تاريخ المغرب، ج ١، ط ٢ دار الطباعة المغربية، تطوان ١٩٥٧ . ص ١٠٤ ؛ وهناك الكثير من الكتابات التاريخية من المصادر والمراجع التى أسهبت في الحديث عن اللثام عند المرابطين بما لا حاجه لحصره هنا ؛ وقد رأيت بنفسى هذه العادة في قبائل= =الطوارق أثناء عملى بالمعهد العالى لإعداد المعلمين في مدينة غات في أقصى الجنوب الغربى بليبيا.

٥٠) انظر . ابن القطان : نظم، ص ١٠٩ ؛ وقد ورد هذا الحديث الشريف في سنن أبى داود، وسنن ابن ماجة بأكثر من صيغة، وهو حديث عن أم سلمة أنها قالت سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول " المهدى من عترتى من ولد فاطمة " ؛ وفي سنن ابن ماجة حديث عثمان بن أبى شيبة عن على أنه قال " قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " المهدى منا أهل البيت " وفي موضع آخر عن أم سلمة قال " سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : المهدى من ولد فاطمة " انظر . أبو داود الأزدى : الإمام سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ت " ٢٧٥ هـ/٨٨٨ م " سنن ابى داود، ج ٤ ؛ دار الحديث القاهرة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ص ١٠٤ حديث رقم ٤٢٨٤ ضمن كتاب المهدى ؛ ابن ماجة القزوينى : الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد ت " ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨ م " سنن ابن ماجة، ج٢، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقى، دار الفكر العربى ص ١٣٦٧، ١٣٦٨ حديث رقم ٤٠٨٥، ٤٠٨٦ ضمن باب خروج المهدى رقم ٣٤ .

٥١) انظر . ابن القطان : نظم، ص ١٠٣ ؛ وفي حديث ابن القطان إشارة الى أحاديث النبى – صلى الله عليه وسلم – في شأن المهدى المنتظر، والتى سبق الإشارة الى بعضها في حاشية رقم (٥٠)، أما في هذه الجزئية فحديث ابن القطان يشير إلى حديث مسدد الذي أورده أبو داود في سننه والذي جاء فيه أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال فيما معناه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلًا منى أو من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم ابيه اسم أبى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً

كما ملئت ظلمًا وجورًا، وهناك حديث عثمان بن أبى شيبة عن على رضى الله تعالى عنه عن النبى – صلى الله عليه وسلم – " لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتى يملؤها عدلاً كما مئلت جوراً "

وهناك حديث آخر أورده أبو داود أيضا في سننه عن أبى سعيد الخدرى قال " قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المهدى منى أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جوراً وظلمًا... " . انظر . أبو داود : سنن أبى داود، ج٤، ص ١٠٤، ١٠٥ أحاديث رقم ٤٢٨٢، ٤٢٨٣، ٤٢٨٥ ضمن كتاب المهدى ؛ وكان من الطبيعى للباحث الإتيان بهذه الأحاديث النبوية الشريفة حتى يتبين أن مؤرخى الموحدين، وفي مقدمتهم ابن القطان قد سعى إلى إثبات نسب ابن تومرت إلى آل بيت النبوة لتأكيد ولاءه لدولة الموحدين ؛ في محاولة ابن تومرت لتقويض أركان دولة المرابطين، والجدير بالذكر هنا أن ابن خلدون في مقدمته عدَّ القدح في نسب ابن تومرت الى أهل البيت من المقالات الفاسدة، وإنما حمل الفقهاء على تكذيبه ونسبته الى الشعوذة والتلبيس ما كمن في نفوسهم من حسد له، وقد أوضح أ . عنان – في أثناء حديثه عن ابن تومرت – دوافع ابن خلدون التى حملته على الدفاع عن نسب ابن تومرت مهدى الموحدين مشيراً إلى= =أنه لم يكن من المعقول أن يجاهر ابن خلدون بالطعن في نسب ابن تومرت ودعوته وإمامته، وهو الذي عاش ردحًا من الزمن – هو وأسرته منذ مغادرة الأندلس – في ظل الدولة الحفصية التى تعتمد على إمامة ابن تومرت ودعوته، وأهدى ابن خلدون أول نسخة من مقدمته وتاريخه للسلطان أبى العباس الحفصى سنة " ٧٨٤ هـ/١٣٨٢م "، كما أن النجاح السياسى والعسكرى لأى داعية أو متغلب لا يدل على صدق دعوته، هذا فضلا على أن إنكار دعوة ابن تومرت لم يكن قاصرًا على الفقهاء المرابطين فقط، والذي يرجعه ابن خلدون لحقدهم عليه وحسدهم له، بل امتد الى كثير من المؤرخين . انظر . ابن خلدون :عبدالرحمن بن محمد ت " ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م " مقدمة ابن خلدون، ط ١١ دار القلم ١٩٩٢ ص ٢٦؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، عصر المرابطين، ص ١٩٤، ١٩٥.

٥٢) ابن القطان : نظم، ص ١٠٥ ؛ وإلحاقاً بما قيل في الحاشية السابقة ينبغى القول أن أحاديث النبى – صلى الله عليه وسلم – الواردة في شأن المهدى المنتظر هى من قبيل الحقائق الدينية، وليست أساطير كما ذهب أ . عنان – عفي الله عنه – في كتابه، بل إن هناك من قال أن أحاديث المهدى وردت في البخارى ومسلم دون التصريح بلفظة المهدى، وليس لى شرف التخصص في علوم الحديث الشريف، بيد أن أهم ما يقال هنا أن ابن خلدون قد ناقش أحاديث النبى – صلى الله عليه وسلم – الواردة في المهدى المنتظر، مشيراً إلى أن جماعة من الأئمة خرجوا أحاديث المهدى، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فيما يعنى أن " المهدى " حقيقة، لكن التاريخ هو الذي انحرف بهذه الحقيقة الدينية، فادعى ابن تومرت بأنه المهدى المنتظر، وسعى ابن القطان – كمؤرخ موحدى – لاثبات مهدويته، ونسبه إلى آل البيت بكل السبل، جاعلًا أحاديث النبى – صلى الله عليه وسلم – تنطبق على ابن تومرت، والمؤسف أن ابن خلدون يناقض نفسه بدفاعه عن نسب ابن تومرت إلى آل البيت، وهو ماسبق توضيح بواعثه في الحاشية السابقة، في الوقت الذي يذكر أمثلة لمن ادعى أنه " المهدى المنتظر

" بل حتى لحظة كتابه هذه الكلمات نسمع ونقرأ عمن يدعى إنه المهدى، فكيف عمن ادعى هذا في أواخر عصر المرابطين حتى وفاته سنة " ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م"، وهو ابن تومرت مهدى الموحدين ؟!

وأذكر هنا قول أ د . الحجى أن التاريخ " هو الشكل الذي تحقق فيه الإسلام، وكل انحراف عن الطريق السوى أصاب هذا التاريخ، كان نتيجة للإنحراف عن تلك الشريعة " وهو ما ينطبق – في رأيى – على ابن تومرت في ادعاءه بأنه " المهدى المنتظر ؛ انظر . ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، ص ٣١١ – ٣٣٠ بشأن أحاديث المهدى ومن ادعى أنه المهدى ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ق١ عصر المرابطين، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ ؛ عبدالرحمن على الحجى : نظرات في دراسة التاريخ الإسلامى، ط ١ دار الإرشاد ١٩٦٩ ص ١٩ ؛ وهناك أحاديث نبوية أخرى يوردها ابن القطان في شأن المهدى على أساس أنه يسعى لتطبيقها على ابن تومرت انظر . ابن القطان: نظم، ص ١١٧، ١٨٠، ١٨١ ؛ وهى أحاديث يُساء تأويلها، ولم يقل بها النبى – صلى الله عليه وسلم – على نحو ما أورده ابن القطان، كما هو في حاشية رقم(٢) من ص ١٨١ لـ د. مكى .

٥٣) موقعة البحيرة هى إحدى المواقع الحربية التى دارت بين المرابطين والموحدين، وهُزم فيها الموحدون . انظر عنها . ابن القطان : نظم، ص ١٦٠، ١٦١.

٥٤) انظر . ابن القطان : نظم، ص ١٧٠، ١٧١، والحديث الشريف المذكور ورد في صحيح البخارى عن المغيرة من شُعبة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال " لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون " ؛ وهو مايعنى أن الحديث ورد دون أن يرد فيه كلمة " أهل الغرب " ؛ وقد جاء في تحقيق كتاب رياض النفوس مايوضح إشكالية كتب التاريخ المغربى في إضافة لفظة لمغرب إلى مثل هذه الأحاديث الشريفة ؛ وابن القطان هنا يحاول إلحاق الشرف بطائفة الموحدين وابن تومرت، استناداً إلى استخدام أحاديث النبى – صلى الله عليه وسلم – في إظهار الولاء لدولة الموحدين، بأن تكون هى الطائفة المقصودة في الحديث الذي أورده ابن القطان .

انظر . تحقيق كتاب رياض النفوس للمالكى، تحقيق : بشير البكوس، مراجعة : محمد العروسى المطوى، ط ٢ دار الغرب الإسلامى ١٩٩٤ . ص ٥ حواشى التحقيق رقم (٤) ؛ وانظر ص ١٤٥٧ حديث رقم ٧٣١١ في صحيح البخارى .

٥٥) انظر . عبدالله علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن على، دار المعارف، بمصر ١٩٦٨ . ص ١٨ .

٥٦) انظر . مقدمة تحقيق المن، ص ٢٠.

٥٧) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ١٥٧ ؛ وانظر في مصادر ترجمة أخيل بن إدريس في ص ٦٧ حاشية رقم (١) من كتاب المن .

٥٨) ابن صاحب الصلاة : المن، ص ٣٧٢ ؛ وللأمانة فقد نبه أ . د التازى الى هذا الخطأ في حاشية رقم (٢) من ص ٣٧٢ ؛ والقنطرة المذكورة هى قنطرة نهر الوادى الكبير بإشبيلية . انظر . المنونى : حضارة الموحدين، ص ١٧٦ ؛ وعن القناطر عامة في العصر الموحدى يمكن الرجوع إلى . حسن على حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب، ص ٤٠٤ –٤٠٥ .

٥٩) ابن صاحب الصلاة : المن، ص ٢٤٧ ؛ وقد ورد ذكر عبارة ابن صاحب الصلاة في إطار رسالة إلى الطلبة الموحدين بغرناطة، تبشيراً لهم بنصر الموحدين على ابن مردنيش في حصن له قبالة غرناطة، كان قد جمع فيه أحلافه من النصارى كما هو الحال في ص ٢٤٦ – ٢٤٧من كتاب : المن .

٦٠) انظر . ابن صاحب الصلاة : المن، ص ٢٤٧ حاشية رقم (١) للمحقق ؛ والقضية هنا أكبر من السفسطة التى يشير إليها د . التازى، وترتبط بالمنهج الذي أعجب به ابن تومرت " مهدى الموحدين " في تعاليم الأشعرية وموافقتها للمعتزلة في نفي صفات الله سبحانه وتعالى، وتأويل المتشابه من الآيات القرآنية، في حين بقى المرابطون على إقرار الصفات وعدم التأويل، ومن هنا وصفهم ابن تومرت بالمجسمين، واتخذ من ذلك وسيلة لتقويض دعائم الدولة المرابطية، ولصاحب هذه الكلمات بحث بعنوان : دور اعلام الفكر الصوفي في تدعيم وجود العقيدة الأشعرية ببلاد المغرب الأقصى، وفيه انتصار لدولة المرابطين ودحض التجسيم عنهم، بحث قيد النشر بمجلة كلية الآداب جامعة بنها عدد أكتوبر ٢٠١٥ .

٦١) انظر . ابن القطان : نظم الجمان، ص ٧١، ٧٢ ؛ والإمام الغزالى هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى المتوفي بطوس سنة " ٥٠٥هـ/١١١١م " انظر في ترجمته (على سبيل المثال) . ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبدالحى ت " ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م " شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤، بيروت دون تاريخ ص ١٠–١١؛ وقد أورد عبدالواحد المراكشى في " المعجب " ما يدل على تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم لمن ظهر عليه شئ منه، وأنه بدعه في الدين في عهد "على بن يوسف" أمير المسلمين؛ وهو ما يتضح في قوله: " وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له ... " انظر. عبدالواحد المراكشى: المعجب، ص ٢٣٦ ؛ وقد ورد أ . د حسين مؤنس – ضمن وثائق عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين – وثيقة إلى أهل بلنسية صادرة من ديوان الإنشاء المرابطى على أيام تاشفين بن على بن يوسف، وبالتحديد في العشر الأولى من جمادى الأولى ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م "، وينص فيها على إحراق كتب أبى حامد الغزالى، وتحذر الناس من البدع وكتبها وأصحابها " وخاصة كتب أبى حامد الغزالى "، والحق أن الباحث لا يمكن أن يتعاطف مع حوادث إحراق الكتب، وهى إحدى سلبيات العصر المرابطى حقاً، إلا أن هناك ما يشير إلى خشية المرابطين على الناس من علوم الكلام والفلسفة، أو قيام الغزالى بمهاجمة الفقهاء الذي يطلبون الدنيا من خلال مناصبهم الدينية في كتابه الإحياء، أو مناصرته للتصوف والمتصوفين الذين كانوا يأخذون موقفا من الفقهاء وما يحققونه من مكاسب دنيوية . انظر . حسين مؤنس . نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين (٥٢٠هـ/١١٢٦م إلى ٥٤٠هـ/١١٤٥م) مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية في مدريد، العدد ٣، مج ١، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م. ص ١٠٦– ١١٠؛ حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس. ص ٤٥٠– ٤٥٢؛ ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة : السيد محمود عبدالعزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمى، راجعة : لطفي عبدالبديع، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٠ . ص ٢٥٠ – ٢٥٢، وفي رأيى أن حادث إحراق كتب الغزالى – أيًا

كان خطأه – لايمكن عزله عن الظروف التى حدث فيها، وليس هذا دفاعًا عن المرابطين، بل كان هذا مدعاة لوصفهم في بعض الكتابات الأجنبية بالتزمت واحتقار الثقافة، والقول بأن المدرسة المالكية سيطرت مطلقا على المغرب والأندلس في العصر المرابطى .

Cf. Altmira ; Historia De España., t.1 Maderid. 1958 . P . 50 ؛

Huici Miranda : Historia Politica del Imprio Almohade., Tetuan 1956. P. 17 ؛

وربما كان حادث إحراق الكتب وغيره من أحداث العصر المرابطى سببا في وصف المرابطين بالهمجية من قبل المستشرق الهولندى أ . دوزى، وهو ما ناقشه أ . ليفي بروفنسال وأبان فيه خطأ دوزى في دراسته لتاريخ المرابطين وتشويههم وتصويرهم على أنهم برابرة صحراويين متوحشين، أجلافًا متعصبين، وذكر أن دراسته كانت ناقصة لنقص المراجع بين يديه . انظر . دوزى "رينهارت": المسلمون في الأندلس، ج ٣، ترجمة وتعليق وتقديم : حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ ص ١٦٥ – ١٦٧ ؛ ليفي بروفنسال : سلسلة محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها ترجمة . محمد عبدالهادى شعيره، مراجعة : عبدالحميد العبادى، القاهرة ١٩٥١ ص ١٦ .

٦٢) انظر . ابن القطان : نظم الجمان، ص ٦٧، ٦٨ .

٦٣) انظر. حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص ٤٥٨ – ٤٦٠ فيما كتب بعنوان "معارك كلامية".

٦٤) انظر. ابن القطان: نظم، ص ١٣٢؛ وتسمية الحشم ترتبط باللثام، ويوضحه ابن القطان أيضا في نفس الصفحة، أما المجسمين، فقد سبق توضيح التسمية في حاشية رقم ٦٠

٦٥) انظر . ابن القطان : نظم، ص ١٠٣ .

٦٦) تعرض البيذق في كتابه لدخول ابن تومرت لعديد من المدن مثل تلمسان، فاس، ومراكش . انظر . البيدق : كتاب أخبار المهدى، ص ٦٠ –٦٨ .

٦٧) مثال ذلك ما قاله البيذق عن إحدى غزوات ابن تومرت ضد المرابطين، وأنه (أى ابن تومرت) أخذ حفنة من التراب ورماها في وجوه المجسمين فانهزموا وتركوا الخيل . انظر . البيذق : المصدر السابق، ص ٧٤ ؛ وهذا خيال وهراء، وشطط بالوصول بابن تومرت إلى ما لا يستحقه البشر !

٦٨) ابن القطان : نظم، ص ١٣١ ؛ ومثل هذا التطرف في معاداة المرابطين يجده الباحث فيما ذكره البيذق من رسائل ابن تومرت، والتى يقول في إحداها ... " واجتهدوا في جهاد الكفرة الملثمين، فجهادهم أعظم من جهاد الروم وسائر الكفرة بأضعاف كثيرة لأنهم جسموا الخالق سبحانه، وأنكروا التوحيد، وعاندوا الحق " انظر . البيذق : كتاب أخبار المهدى ..، ص ٩

٦٩) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ١٦١ ؛ وعقيدة التوحيد، والعقيدة المباركة المسماة بالطهارة هما ما دونهما ابن تومرت في كتابه أعز ما يطلب باللسانين العربى والبربرى حتى يفهمه المصامدة، وهما عبارة عن مزيد من الأفكار والاتجاهات الدينية التى كانت معروفة من قبل، والتى وضعت بعضها إلى جانب بعض، وربما ظهرت غير متجانسة في بعض الأحيان ، بل متضاربة في أحيان أخرى . انظر . سعد زغلول عبدالحميد : محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس، جامعة بيروت

العربية ١٩٧٣ . ص ٢١ ؛ وانظر عن عقيدة المرشدة أيضا . عبدالله كنون : عقيدة المرشدة للمهدى بن تومرت، البحث العلمى، عدد ٩، السنة ٣، سبتمبر – ديسمبر ١٩٦٦ . ص ١٧٦ .

٧٠) انظر . ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ٣٠٤، وابن همشك هو صهر ابن مردنيش، وكان قد انسلخ عن صهره، وأعلن توبته، والدخول في طاعة الموحدين حسبما يستدل من الرسالة ؛ والوارد في الرسالة تلقيب ابن تومرت بالإمام والمعصوم وهو مما ذهبت إليه الشيعة في الإمامة بأنها ركن الدين وقاعدة الإسلام ... وكما قال ابن خلدون فيها ... " ولا يجوز لنبى اغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر "، وهذا يعنى أن ابن تومرت أخذ من الشيعة فكرة الإمام المعصوم، وأنه باعتماده على مبدئى العصمة والإمامة يختلف مع الأشاعرة وسائر أهل السنة، حيث يرفضون جميعاً هذا المبدأ، كما أن في أخذه بالعصمة والإمامة مايعد جبريًا معارضًا للمعتزلة الذين نفوا القدر ورفضوا الجبر، وأثبتوا حرية الإنسان وإرادته في اختيار أفعاله، واشترطوها أساسا للتكليف بالواجبات ؛ انظر . ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، ص ١٩٦، ١٩٧ ؛ سعد زغلول محمد بن تومرت وحركة التجديد، ص ٢٤ ؛ عباس الجرارى : الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، المناهل، العدد الأول، السنة الأولى، ذو القعدة ١٣٩٤، نوفمبر ١٩٧٤ . ص ١٠٣.

٧١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ١٦٨ ؛ ويذكر عبدالواحد المراكشى عن " الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن " أنه " لم يكن في بنى عبدالمؤمن فيمن تقدم منهم وتأخر ملك بالحقيقة غير أبى يعقوب هذا " ومع هذا لم يترك المراكشى العنان لقلمه في الإطراء غير المقبول، فكان أكثر موضوعية في كتابته التاريخية من ابن صاحب الصلاة رغم موحدية المراكشى . انظر . عبدالواحد المراكشى : المعجب، ص ٣١٦ .

٧٢) انظر . ابن صاحب الصلاة : المن، ص ٢٧٢ ؛ وانظر في بعوث الشام، وبعث يزيد بن أبى سفيان . ابن خلدون : عبدالرحمن ت " ٨٠٨ هـ /١٤٠٦ م " تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مج ٢، ط ١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ . ص ٤٩١ – ٤٩٢ .

٧٣) انظر . ابن صاحب الصلاة . المن، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

٧٤) انظر في الظروف التاريخية التى أدت الى بيعة الرضوان . ابن هشام : أبو محمد عبدالملك ت " ٢١٨ هـ / ٧٣٣ م " السيرة النبوية، ج٣، تحقيق : عادل سعد، دار الاعتصام، ص ١٩٥ – ١٩٦ .

٧٥) لقب السادات خاص بالخلفاء والأمراء الموحدين، كما يتضح من كتابات مؤرخى ديار الموحدين وخاصة ابن صاحب الصلاة – وابن القطان، أما لقب " أمير المسلمين فقد أوضح أ . د . التازى أن لقب أمير المسلمين كان هو الشائع في عصر المرابطين، وأن يوسف بن تاشفين لم يتسور على التلقب بلقب أمير المؤمنين، فلما جاء الموحدون رأوا أن من حقهم أن ينالوا هذا اللقب، وكان أول من فعل ذلك منهم عبدالمؤمن بن على الكومى سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م " وتبعه على ذلك ابن أبو يعقوب يوسف سنة " ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م " انظر . حاشية رقم (١) من كتاب : المن بالإمامة، ص ٢٥٨.

٧٦) استند في هذا إلى حديث النبى – صلى الله عليه وسلم – عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنهما أنه قال " سمعت النبى – صلى الله عليه وسلم – يقول " لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا عبدالله ورسوله " . فكيف بمن يمتدح ابن تومرت والسادة الموحدين ؟! انظر البخارى: صحيح البخارى، ص ٧٢٥ حديث رقم ٣٤٤٥ .

٧٧) الخليفة المأمون الموحدى هو إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن عبدالمؤمن بن على، وكنيته أبو العلا، ولقبه المأمون، بويع بإشبيلية سنة " ٦٢٤ هـ / ١١٢٦ م " وتوفي سنة " ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م" فكانت خلافته خمسة وثلاثة أشهر، وهو الذي دخل مدينة مراكش وصعد المنبر بجامع المنصور، وخطب الناس ولعن ابن تومرت ... وقال " لا تدعوه بالمهدى المعصوم، وادعوه بالغوى المذموم، فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ، ولا مهدى إلا عيسى، وأنا قد نبذنا أمره النحيس ... " انظر . ابن أبى زرع : الأنيس المطرب .. ص ٢٤٩ – ٢٥١ ؛ ابن عذارى : البيان، قسم الموحدين، ص ٢٤٧، ٢٨٦ – ٢٨٧ ؛ السلاوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى ت " ١٢١٥ هـ /١٨٩٧ م " الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٢، تحقيق وتعليق ولدى المؤلف (جعفر الناصرى ومحمد الناصرى)، ج٢، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤ ص ٢١٢ – ٢١٥ .

٧٨) يذكر ابن القطان في هذا الشأن قوله : " وقد وقفت على نسخة صك كتبه– رضى الله عنه – للفقيه القاضى على بن أبى الحسن الجذامى أوله بعد البسملة والصلاة : أقول وأنا محمد بن عبدالله تومرت وأنا مهدى آخر الزمان " انظر . ابن القطان : نظم ص ٧٩ وانظر ما جاء في ص ٨٧ " من وصفه بـ " الإمام المعصوم المهدى المعلوم رضى الله تعالى عنه " وهو وصف يتردد كثيراً عند ذكر ابن تومرت " وقد ناقشت تفصيلاً أحاديث النبى – صلى الله عليه وسلم – الواردة في شأن " المهدى " والتى استغلها ابن تومرت لصالحه، فضلًا على مسألة الإمامة والعصمة ضمن حواشى البحث المرتبطة بخصائص الكتابة التاريخية، ومما أورده ابن القطان أيضا في مدح ابن تومرت والمغالاة فيه قوله إنه كان " لا يراه أحد ولا يسمع به إلا أشرب حبه رضى الله تعالى عنه حبًا وضع الله تعالى عليه وألبسه رداءه .. انظر . ابن القطان نظم، ص ٧٧ .

٧٩) من أمثلة المناقب والكرامات والعصم المرتبطة بابن تومرت ماحدث له في أثناء رحلته من الأسكندرية الى بلاد المغرب على متن المركب الذي أقله، ونهيه عن المنكر وشرب الخمر في المركب، والتزام الصلاة وتذمر أهل المركب منه، حتى هموا بإلقاءه من المركب، وما حدث بعد ذلك حدوث ريح عاصفة كادت أن تفتك بالجميع لولا قيامهم بإرضاء ابن تومرت،وطلب الدعاء لهم، فتوضأوا جميعًا وصلوا !... " وجرت السفينة بريح طيبة "، ومن مظاهر عصمته أيضا ومناقبه ما ارتبط مما حدث له في المهدية وبجاية من تغيير للمنكر، وكسر دنان الخمر ومنع اختلاط النساء بالرجال . انظر. ابن القطان : نظم، ص ٩٢ –٩٣ ؛ ومثل هذه المرويات التاريخية أوردها البيذق في كتابه عن ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، من خلال دخول ابن تومرت الى المهدية، وبجاية، وتلمسان، وفاس، ومراكش، وربما استقى ابن القطان مادة التاريخية مما كتبه البيذق في هذا الشأن إلا أن مثل هذه المرويات قد تبدو غير مقبولة في إضفاء هالة من القداسة على شخص ابن تومرت، وكأن تغيير المنكر لا يرتبط إلا به، وقد تبدو مقبولة بشكل نسبى، إلا أن ما لا يمكن قبوله من أمثلة تلك المرويات ما أورده البيذق عن ابن تومرت

عندما رمى حفنة من التراب في وجوه المرابطين فانهزموا وتركوا الخيل وهو ماسبق بيانه في حاشية رقم ٦٧، بل إن من هذه المرويات ما ارتبط بشخص ابن تومرت، واستغلاله لسذاجة اتباعه لتحقيق أهدافه السياسيه من خلال ما قام به من دفن عدد من اتباعه ، وهم على قيد لحياة وجعل لكل منهم متنفسا في قبره وسؤالهم عن حالهم وقولهم أنهم وجدوا ما وعدهم ربهم حقا ... وكان ابن تومرت يريد لاتباعه من المتشككين في دعوته سماع أصوات الموتى حتى يجدوا في " جهادهم " ضد المرابطين !! انظر . البيذق : كتاب أخبار المهدى بن تومرت، ص ٦٠–٦٨ ؛ السلاوى : الاستقصاء، ج٢، ص ٩٦ .

٨٠) انظر . ابن القطان : نظم، ٢١٢ .

٨١) انظر . ابن القطان . نظم، ص ٢١٤ ؛ وقد سبق التعريف بالخليفة المرتضى في حاشية رقم ٣٠

(*) لصاحب هذا البحث : بحث بعنوان الأسطورة في فتح الأندلس، وفيه تعريف موجز بالمعنى اللغوى، والاصطلاحى لكلمة " الأسطورة " . إصدار خاص، فكر وإبداع، أغسطس ٢٠١٣ .

٨٢) انظر . ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ٢٠١ ؛ وابن مردنيش هو محمد بن مردنيش الثائر بشرق الأندلس، وشاركه في هذا الخروج صهره ابن هُشُمْك، وكان أول خروجه وثورته زمن الخليفة عبدالمؤمن بن على كما أخبر ابن خلدون، وجاء في المن خبر الانتصار عليه وعلى نهايته، أما صهره ابن هُشُمْك فقد سبق بيان انسلاخه عن ابن مردنيش ودخوله في طاعة الموحدين في حاشية رقم (٧٠) . انظر . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، مج ٦، ص ٢٨١ ؛ ابن صاحب الصلاة : المن، ص ٢٠٠–٢٠١ ؛ وتحت أحداث سنة " ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م " ذكر ابن عذارى= = في بيانه العلة التى لازمت ابن مردنيش حتى توفي. انظر . ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٢١، ١٢٢

٨٣) انظر في أحداث البشير المذكور . ابن القطان : نظم، ص ١٤٦ – ١٤٨ .

٨٤) ابن القطان : نظم، ص ١٦٥ ؛ ولا يفوتنى التعليق على وصف الونشريسى بأنه " مطلع على الأنفس محدث "، وهو مالا يقبله عقل، ولا ينطبق على الونشريسى ولا على غيره، إلا أن يكون كما أخبر النبى – صلى الله عليه وسلم – فيما رواه البخارى عن أبى هريره . قال . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " لقد كان فيما قبلكم من الأمم محَدَّثون فإن يك من أمتى أحد فإنه عمر " انظر . البخارى : صحيح البخارى، ص ٧٦٩ –٧٧٠ حديث رقم ٣٦٨٩ باب : مناقب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

٨٥) انظر . ابن القطان : نظم، ص ١٨٤ –١٨٥ ؛ وفي هذا الشأن فهناك كتابات تاريخية تشير إلى أن ابن تومرت كان يحتفظ بكتاب يسمى الجفر، وفيه " أن أمره لا يتم إلا على يد رجل اسمه، كذا، وحليته كذا، وهو عبدالمؤمن بن على، فأقام المهدى يتطلبه مده إلى أن لقبه بملالة " انظر . السلاوى : الاستقصاء،ج٢، ص ٩٠ ؛ وفي ص ٨٨ توضيح لأصل كلمة الجفر ؛ وهى ما بلغ أربعة أشهر من أولاد الماعز، وكان القدامى يكتبون على جلود الماعز ويسمونها جفورا، وهى من علوم أهل البيت ورؤاهم المستقبلية انظر . ابتسام مرعى : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامى، ص ٥٠–٥١ وحاشية رقم (١٥) من ص ٥١ ؛ ومن المرجح لى أن مثل هذه الجوانب هى مما أدخلها ابن تومرت في قلوب أتباعه ومريديه .

٨٦) اختلفت الآراء حول قصة اللقاء بين ابن تومرت، والإمام الغزالى، فيما بين مؤيد ومعارض من كتابات الباحثين المحدثين، ومن المرجح لدى انها تدخل ضمن نطاق الزعم والخيال استناداً إلى ما قاله ابن خلدون بشأن اللقاء بين الاثنين، وإن كان هذا لا يلغى تأثر ابن تومرت بالإمام الغزالى .
انظر . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، مج ٦، ص ٢٦٧ حيث يقول عن ابن تومرت " ولقى فيما زعموا أبا حامد الغزالى " وانظر أيضا حول اختلاف الآراء حول اللقاء . عنان : دولة الإسلام في الأندلس، القسم الأول – عصر المرابطين، ص ١٦٠–١٩٦، حيث ينفي قصة اللقاء، ولا يلغى تأثر ابن تومرت بالغزالى، وانظر حول رحلة ابن تومرت إلى الشرق الإسلامى، ابتسام مرعى : المرجع السابق، ص ٤٧ – ٥٢ .

٨٧) انظر . ابن القطان : نظم، ص ٧٢، ٧٣ ؛ وانظر حاشية المحقق رقم (٥) من ص ٧٢ والتى تحسم بأن قصة اللقاء بين ابن تومرت والغزالى موضوعة، وان القرائن التاريخية تدل على استحالة وقوع ذلك .

٨٨) ذكر ابن عبدالحكم حادث الكرة التى وقعت في كُم سيدنا عمرو بن العاص أثناء دخوله الإسكندرية، وكان يقال – حسب الأسطورة – أن من وقعت الكرة في كُمّه " لا يمت حتى يملكهم " . وهنا يريد ابن تومرت أن يأخذ تفويضًا من الغزالى بإسقاط دولة المرابطين، فيتخذ من الحادثة تكئة لتحقيق مآربه، كما هو الحال في اسمه الذي وجد في أرض القدس، وفي أحاديث المهدى المنتظر الذي أراد أن يطبقها على نفسه، وادعاء الإمامة والعصمة وارتداء ثوب الدين وعباءته لتحقيق أهدافه السياسية من انهيار دولة المرابطين وإقامة دولة الموحدين، وهو من نوع الانقلاب السياسى الذي يرتدى ثوب الدين، ولست أهدف من ذلك الى محاكمة ابن تومرت، أو من أرخ لدولته من مؤرخى البلاط الموحدى، تاركاً الحكم للقارئ . انظر عن حادث الكرة المشار إليه في أول الحاشية . ابن عبدالحكم : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ت " ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م " كتاب فتوح مصر وأخبارها، تحقيق : محمد الحجيرى، ط ١ دار الفكر بيروت ١٩٩٦ – ص ١٢٩ ؛ والحديث عن خصائص الكتابة التاريخية هو الذي يدفع بى إلى بيان حقيقة هذه الجوانب، فإذا كان أ . عنان يشير الى شهادة كاتب مشرقى في النصف الأول من ق " ٨ هـ /١٤ م " – وهو الحسن بن عبدالله العباسى في كتابه " آثار الأول وترتيب الدول " المنشور على هامش كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطى، القاهرة ١٣٠٥ هـ – بأن ابن تومرت من نوع الداعية المتزهد المخادع الذي يبطن انتزاع الرئاسة في ثوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ فإنه من باب أولى ذكر ما قاله القاضى ابن عاصم الأندلسى – بعد ما يقرب من ثلاثمائة سنة على وفاة ابن تومرت – تعقيبًا على حركة يوسف المدجن (مدعى الإصلاح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من خلال التمسح بالدين) في عهده قائلاً :– " وهذا النوع الذي استظهر به هذا المدجن من تغطيه قصده أولاً للثوره بالصلاح، وإبراز تصرفاته المقضية أخيراً إلى الملك، في مسلاخ الانتماء للولاية هو الذي منى به المرابطون من المتسمى بالمهدى القائم بدولة الموحدين، ولذلك كانت هذه الموحدية لا تسامح أحداً ممن يستظهر بتغيير المنكر في قالب الديانة " ؛ وهو ما يعنى أن مؤرخى البلاط الموحدى (ومنهم ابن صاحب الصلاة – وابن القطان) قد انغمسوا في عديد من اخطاء الكتابة التاريخية بدافع الولاء والانتماء والنفعية من دولة الموحدين .

انظر . ابن عاصم: القاضى أبى يحيى بن عاصم ت " ٨٥٧ هـ /١٤٥٣ م " جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، مج ١، تحقيق : صلاح جرار، دار البشير ١٩٨٩ص ١٨٩ ؛ وانظر أيضا لصاحب البحث : بحث بعنوان . في النقد الاجتماعى عند الفقيه القاضى أبى يحيى بن عاصم المتوفي بغرناطة سنة " ٨٥٧ هـ /١٤٥٣ م " وكتابة جنة الرضا، رؤية في السلبيات الاجتماعية في عصر سيادة غرناطة. بحث قيد النشر ؛ وانظر فيما قال به أ . عنان رحمه الله . دولة الإسلام في الأندلس، القسم الأول – عصر المرابطين، ص ١٩٥، ١٦٩ .

٨٩) انظر . ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ١٤٩، ٢٣١ وحاشية المحقق رقم(١) ص ١٤٩ وفيها غناء .

٩٠) انظر . ابن صاحب الصلاة : المن، ص ٢٠٠، ٢٠١، ٣٣٣ ؛ وحاشية المحقق رقم (١) ص ٢٠٠، ٢٠١ ؛ وانظر أيضا في التعريف بالباب الذي يخرج منه الخليفة إلى أهل الجماعة، وأهل خمسين، والطلبة . المنونى : حضارة الموحدين ص ١٦٨؛ ويوضح أ . المنونى أيضا السبب الذي حدا بالموحدين إلى الاستعانة باللسان البربرى . انظر . المنونى : المرجع السابق، ص ١٠٦ –١٠٩، وانظر أيضا في هذا الشأن . حسن على حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ص ٤٨٩– ٤٩٠.

٩١) انظر. ابن صاحب الصلاة: المن، ص ٤٠٨ وحاشية رقم ٣ من نفس الصفحة للمحقق أ . د عبدالهادى التازى ؛ وانظر أيضا . مجهول : كتاب الحلل الموشية، ص ١٠٩.

٩٢) ابن القطان : نظم، ص ٨٩ –٩٠ ؛ وقد وردت اللفظة عند ابن خلدون " أسافو " وأوردها صاحب الحلل الموشية بنفس الصيغة منسوبة إلى والده تومرت انظر . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، مج ٦، ص ٢٦٦ ؛ مجهول : كتاب الحلل الموشية، ص ١٠٣، وانظر أيضا حاشية د . مكى من كتاب نظم الجمان رقم ٤ ص ٨٩، ٩٠.

٩٣) انظر . ابن القطان : نظم : ص ١٣٩ . وحاشية د . مكى رقم ٢ من نفس الصفحة في التعريف بلفظ الشريعة اعتماداً على ما ذكره أ . دوزى .

٩٤) ذكر أ. ليفي بروفنسال أن لفظ الشريعة لم يعد اليوم مستعملًا في جميع أنحاء المغرب العربى، وإن الكلمة تعادل المصلى الريفي، أو تطلق على المصلى الريفي، وفي دراستى عن التعليم في بلاد المغرب العربى أشرت إلى تعدد مسميات الكتاب بالمغرب العربى في العصر الإسلامى نظرا لاتساع مساحته، ومن هنا فقد عرف الكتاب في بعض الجهات باسم الشريعة وهى كلمة تعنى الكتاب الريفي أو الخيمة المدرسية عند البدو ؛ انظر . ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس، ص ٨٨ – ٨٩ وحاشية رقم (٢) من ص ٨٨، ٨٩ ؛ عادل يحيى : العلم والتعليم في المغرب العربى من الفتح الى نهاية دولة الموحدين، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢ م ص ١٥٤.

٩٥) ابن القطان: نظم، ص ١٣٤، ١٣٥ ؛ وقبيلة هنتاتة ورد ذكرها هكذا عند ابن خلدون عند حديثة عن قبائل الموحدين من المصادمدة، وأضاف صاحب القبائل أن جدهم هنتات ينتى بلسان المصامدة مشيراً إلى صحبة الشيخ أبى حفص عمر بن يحيى لـ ابن تومرت، وهو جد ملوك الدولة الحفصية، ويذكر أن اسم " هنتاتة " قد انمحى اليوم، لكن بعض الأسر ما زالت تنسب إليها خصوصا في مدينة صفاقس.

انظر . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، مج٦، ص ٣١٦، ٣١٧ ؛ عبدالوهاب بن منصور : قبائل المغرب،ج ١، المطبعة الملكية الرباط ١٩٦٨ . ص ٣٢٦، ٣٢٧ ؛ ويفهم من سياق القول أنه يقارن بين قبيلته هرغة، وقبيلة هنتاتة ؛ ولست أقصد احصاءً للكلمات البربرية في كتابات ابن صاحب الصلاة – وابن القطان، أو ما تسمى باللسان الغربى، كما هو في حاشية د . مكى من كتاب نظم الجمان، ص ١٣٤ حاشية رقم ٥.

٩٦) يذكر أ . د حسن على حسن أن عنصر البربر يشكل الغالبية العظمى من السكان، ومنهم تأسست أكبر دولتين شهدهما المغرب العربى في العصور الوسطى . انظر . حسن على حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٢٩٢ ؛ وقد جاء وصف البربر بإحدى الدراسات الأجنبية بأنهم سكان أفريقيا الشمالية، وأنهم تكونوا نتيجة لهجرات متلاحقة، وأن لهم ما يميزهم في اللغة والحضارة .

Cf. Henri Terrase : Histoire du Maroc., Paris 1952 P. 14

٩٧) انظر في النقاط المذكورة للباحث : النقد الاجتماعى عند المؤرخين والكتاب الأندلسيين " من القرن الثالث الى التاسع الهجرى/ التاسع الى الخامس عشر الميلادى "رسالة ماجستير، آداب الزقازيق ١٩٩٦ ص ١٧٩–١٨٥؛ والإشارة الى الابتعاد عن الفكرة الدينية مما أشار إليه أ.د التازى في مقدمة تحقيقه، ص ٥٦.

٩٨) انظر . عادل يحيى : النقد الاجتماعى ...، ص ٢٦٥ – ٢٦٨ .

٩٩) انظر في الجوانب المذكورة . ابن صاحب الصلاة : المن، ص ١٨٦، ١٨٧، ٢١٥ ص ٢١٧، ٢١٨ ؛ ومثل هذه الجوانب أوردها تفصيلا أ . د التازى في مقدمة تحقيقه للكتاب من خلال حديثه عن جهاز الدولة ونظامها من خلال الكتاب فضلاً على النشاط الفكرى، والازدهار الاقتصادى والمعمارى، والحياة الدينية . انظر . مقدمة تحقيق المن . ص ٤١ – ٥٧.

١٠٠) انظر . ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ٣٢٤، ٣٢٥ ؛ وهى قصيدة طويلة جداً استخدمت أول بيت منها، وابن طفيل هو أبو بكر محمد بن عبدالملك بن طفيل القيسى، من أهل برشانة من عمل المرية بالأندلس، كان طبيبًا أديبا، توفي بمراكش عام " ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م " وهو صاحب حى بن يقظان، وللتعريف به يمكن الرجوع الى رسالة الباحث في الماجستير بعنوان النقد الاجتماعى، ص ١٨٩ حاشية رقم (٢) وما فيها من إحالات للتعريف به ؛ وانظر أيضا في الاستعانة بالقبائل العربية لحثهم على الجهاد في الأندلس

Isidro De Las Cagigas : Andalucia Musulmana., Madrid 1950 . P 42.

١٠١) انظر . ابن القطان : نظم الجمان، ص ٨٢ ؛ وتأتى في طليعة هذه الطبقات : العشرة الذين قاموا بمبايعة ابن تومرت وسموا أهل الجماعة، ثم بايعه من بعدهم خمسون رجلا فسموا أهل خمسين وهم الطبقة الثانية من أصحاب ابن تومرت، ثم بايعه من بعدهم سبعون فسموا أهل = = سبعين وهم الطبقة الثالثة، ثم تأتى طبقة الطلبة ضمن الطبقة الرابعة التى تتكون من طلبة العلم ... الى آخر هذه الطبقات التى يوضحها ابن القطان تفصيلًا، ولعل أهم ما يذكر من هذه الطبقات أن خلفاء الموحدين كانوا حريصين على إعلام الطلاب بكل ما يحدث في ديار الخلافة الموحدين، كما هو الحال في الرسالة رقم (١٩) من الرسائل الموحدية . انظر . عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ق

١.عصر المرابطين، ص ١٧٤ ؛ ليفي بروفنسال : رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، رباط الفتح ١٩٤١. ص ٩٥– ٩٩ رسالة رقم (١٩)؛ وهناك جوانب أخرى من الطقوس الخاصة بحضارة الموحدين مثل: موكب المصحف العثمانى وأمامه مصحف ابن تومرت . وغير ذلك من جوانب أخرى أحيل فيها القارئ الكريم إلى مقدمة التحقيق في كلا من الكتابين موضوع البحث، فضلًا على الدراسات المتخصصة الأخرى، إذ ليس من قصدى هنا إحصاء كافة الجوانب الحضارية، بقدر إبراز الحديث عن احدى خصائص الكتابة التاريخية المشتركة بين ابن صاحب الصلاة– وابن القطان.

١٠٢) انظر. محمد المنونى : المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج١، ص ٦٦، ٦٧، ولمزيد من التفاصيل عن ابن عذارى، والاختلاف حول أصله ووفاته يمكن الرجوع الى ما كتبه الباحث بعنوان. النقد الاجتماعى عند المؤرخين ..، ص ٢٦٩ وحاشية رقم (١) من نفس الصفحة ومافيها من إحالات للتعريف به .

١٠٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ١٥٠.

١٠٤) عبدالواحد المراكشى : المعجب، ص ٣٠٦.

١٠٥) تناولت في دراستى للماجستير سلبيات عصرى المرابطين والموحدين من واقع كتاب المعجب لعبدالواحد المراكشى . انظر . عادل يحيى : النقد الاجتماعى ...، ص ٢٥٥ – ٢٦٥

١٠٦) عبدالواحد المراكشى : المعجب، ص ١٢٣

١٠٧) انظر . البيذق : كتاب أخبار المهدى بن تومرت ؛ عنان : دولة الإسلام، القسم الأول –عصر المرابطين، ص ١٧٤ حاشية رقم (١)

١٠٨) انظر . ابن القطان : نظم الجمان، ص ٦٣ – ٦٧، ٢٤٣ – ٢٤٨ .

١٠٩) انظر . مقدمة تحقيق كتاب نظم الجمان، ص ٥١

١١٠) انظر . مقدمة تحقيق المن، ص ٢٠ .

١١١) انظر ما كتبه العالم الجليل أ . د حسين مؤنس ضمن كتابه تاريخ المغرب وحضارته،مجلد ٢، ج٢، ط١ العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٢ . ص ٦٦، ٦٧

١١٢) ذكر أ . د حسين مؤنس أن ظهور ابن تومرت " كان من سوء حظ الإسلام ، والمرابطون في عنفوان جهادهم في سبيل الإسلام " ؛ وفي رأيى أنه لو طبقت تعاليم الإسلام لما كان هناك داعى= =للتناحر بين المرابطين والموحدين، وأن ظهور ابن تومرت كان من سوء حظ المسلمين . انظر . مؤنس : المرجع السابق، مج٢، ج٢، ص ٥٨.

١١٣) للأمانة العلمية أشار أ . د محمد عبدالحميد عيسى – رحمه الله – إلى هذه الملاحظة في كتابه مشيراً إلى قصر عصر المرابطين قد منع المؤرخين من التأريخ لدولة المرابطين، وجاءت حركة التدوين التاريخى للعصر المرابطى في ظل حكم دولة الموحدين . انظر . محمد عبدالحميد عيسى : تاريخ التعليم في الأندلس، ط ١ دار الفكر العربى ١٩٨٢، ص ١٧٦.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الرئيسة للبحث :-

ابن صاحب الصلاة : أبو مروان عبدالملك بن محمد ت " أواخر ق ٦ هـ /١٢ م "

– المن بالإمامة " تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين " تحقيق د . عبدالهادي النازي، ط٣ دار الغرب الإسلامى ١٩٨٧ م .

ابن القطان : أبو محمد حسن بن علي الكتامي ت " منتصف ق ٧ هـ /١٣ م "

– نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق ودراسة، د.محمود علي مكي، ط ١ دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠ .

ثانيًا: المصادر:-

ابن الأبار: أبو عبدالله محمد بن عبدالله ت " ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م "

– كتاب الحلة السيراء، ج٢، تحقيق : د . حسين مؤنس، ط٢ دار المعارف ١٩٨٥

البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل إبراهيم ت " ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م "

–صحيح البخارى، تحقيق : طه عبدالرؤف سعد، دار الاعتصام

البيذق: أبو بكر على الصنهاجي " عاصر أوائل دولة الموحدين "

– كتاب أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، نشر : ليفي بروفنسال، بولس كتتر الكتبى بباريز ١٩٢٨ .

البيهقي: الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين ت " ٤٥٨ هـ /١٠٦٥ م "

–شعب الإيمان، مج ٦، تحقيق : محمد السعيد بسيونى زغلول، ط٢ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م

التنبكتي: أبو العباس أحمد بابا ت " ١٠٣٦ هـ/١٦٢٦ م "

– نيل الابتهاج بتطريز الديباج، جزءان ١–٢، إشراف وتقديم : عبدالحميد عبدالله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، الجماهيرية الليبية ١٩٨٩

ابن تومرت : مهدي الموحدين محمد ت " ٥٢٤ هـ/١١٣٠ م "

– كتاب أعز ما يطلب " مشتمل على جميع تعاليم الإمام محمد بن تومرت مما أملاه أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن على رحمهما الله تعالى " نشر : جولد تسيهر الجبر ١٩٠٣ م .

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد ت " ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م "

– مقدمة ابن خلدون، ط ١١ دار القلم ١٩٩٢

– تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج ٢، مج ٦، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد ت " ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م "

– وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، مج ٧، تحقيق : د . إحسان عباس، دار صادر بيروت .

أبو داود : الإمام سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ت " ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م "
– سنن أبي داود، ج٤، دار الحديث القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م
الإدريسي: أبو عبدالله محمد ت " ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م "
– وصف إفريقيا الشمالية " مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " تصحيح ونشر : هنري بيريس، الجزائر ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م
ابن الزبير : أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ت " ٧٠٨ هـ/ ١٣٠٨ م "
– كتاب صلة الصلة، القسم الرابع، تحقيق د . عبدالسلام الهراس، سعيد أعراب، المملكة المغربية ١٩٩٤
ابن أبى زرع : أبو الحسن علي بن عبدالله ت " ٧٢٦ هـ/١٢٢٥ م "
– الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة دار المنصور الرباط ١٩٧٢ .
الزركشى : أبو عبدالله محمد ت " أواخر ق ٩ هـ /١٥ م "
– تاريخ الدولتين الموحدين والحفصية، تحقيق : محمد ماضور، ط ٢ المكتبة العتيقة تونس ١٩٦٦

السلاوي: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ت " ١٢١٥ هـ/ ١٨٩٧ م "
– الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٢ تحقيق وتعليق : ولدى المؤلف (جعفر الناصري ومحمد الناصري) دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤ .

السيوطى : الإمام جلال الدين عبدالرحمن ت " ٩١١ هـ/١٥٠٥ م "
– في أسباب النزول، تحقيق : محمد محمد تامر، ط١ داري التقوي ١٤٢١ هـ
ابن عاصم : القاضى أبى يحيى بن عاصم ت " ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م "
– جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، مج١، تحقيق : د . صلاح جرار، دار البشير ١٩٨٩ .
ابن عبدالحكم : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ت " ٢٥٧ / ٨٧٠ م "
– كتاب فتوح مصر وأخبارها، تحقيق : محمد الحجيرى، ط١ دار الفكر بيروت ١٩٩٦ .
ابن عبدالملك المراكشى : أبو عبدالله محمد ت " ٧٠٣ هـ/١٣٠٣ م "
– السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، ق ١ ، تحقيق : إحسان عباس دار الثقافة بيروت .
عبدالواحد المراكشى : محيى الدين أبى محمد ت " ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م "
– المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق : محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣ .
ابن عذارى المراكشى : عاش أوائل ق " ٨ هـ /١٤ م "
– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق : محمد إبراهيم الكتانى، محمد بن تاويت، محمد زنيبر، عبدالقادر زمامة، ط ١ دار الغرب الإسلامى ١٩٨٥ .
ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبدالحى ت " ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨ م "
– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤، بيروت دون تاريخ .

ابن القاضى: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ت " ١٠٢٥ هـ/١٧٩٠ م "
– جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، القسم الثاني، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٤ .
– **القرآن الكريم :** طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٦ هـ
ابن كثير الدمشقى : الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ت " ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م "
– تفسير القرآن العظيم، ج٢، ج٣ مكتبة دار التراث، دون تاريخ .
ابن ماجة : الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد ت " ٢٧٥ هـ /٨٨٨ م "
– سنن ابن ماجة، ج٢، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر العربي بدون تاريخ .
المالكي: أبو بكر عبدالله بن محمد ت بعد سنة " ٤٦٠هـ/١٠٦٧م "
– كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج١، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة، محمد العروسي المطوي، ط٢ دار الغرب الإسلامي ١٩٩٤ . " استفدت من حواشي التحقيق فقط في الصفحات المذكورة في متن البحث "
مجهول : كاتب مراكشى من كتاب ق " ٦ هـ /١٢ م "
– كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق د . سعد زغلول عبدالحميد، مشروع النشر المشترك (بغداد – المغرب) ١٩٨٥
مجهول : مؤلف أندلسي من أهل ق " ٨ هـ /١٤ م "
– كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق : سهيل زكار، عبدالقادر زمامة، ط ١ دار الرشاد الحديثة، الرباط ١٩٧٩
مجهول : مؤلف قام بتأليف كتابه سنة " ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م "
– تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، تقديم وتحقيق وتعليق : محمد زينهم محمد عزب، ط ١ جهاد للنشر والتوزيع ١٩٩٨ .
النيسابورى : الإمام أبي الحسن على بن أحمد الواحدي ت " ٤٦٨ هـ/ ١٠٧٥ م |
– أسباب النزول، دراسة وتحقيق : السيد الجميلي، دار الريان للتراث، دون تاريخ .
ابن هشام : أبو محمد عبدالملك ت " ٢١٨ هـ / ٧٣٣ م "
– السيرة النبوية، ج٣، تحقيق : عادل سعد دار الاعتصام دون تاريخ .
ياقوت : شهاب الدين أبى عبدالله ت " ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م "
– معجم البلدان، مج٤، ط ٢، دار صادر بيروت ١٩٩٥ .
ثالثًا: المراجع العربية " الكتب والدوريات – والمراجع المترجمة ":-
ابتسام مرعي خلف الله " د " :
– العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي "٥٢٤ – ٩٣٦هـ/١١٣٠ – ١٥٢٩م" دار المعارف ١٩٨٥.

أحمد مختار العبادي " د " :
– دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٨٢
– دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب – العدد ٥ تطوان ١٩٦٠
آنخل جنثالث بالنثيا
– تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة : د . حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، دون تاريخ
– **حسن أحمد محمود " د " :**
– قيام دولة المرابطين وصفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط ١ دار الفكر العربى ١٩٩٦
– الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ط ٣ دار الفكر العربى ١٩٨٦
حسن على حسن " د " :
– الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين " ط ١ مكتبة الخانجى ١٩٨٠
دوزى " رينهارت " :
– المسلمون في الأندلس، ج٣، ترجمة وتعليق وتقديم : د . حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ .
سحر سالم " د " :
– من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٣.
سعد زغلول عبدالحميد " د " :
– تاريخ المغرب العربي، ج٤، ط ١ منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٩٥
– محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس جامعة بيروت العربية ١٩٧٣
السيد عبدالعزيز سالم " د " :
– تاريخ المغرب في العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٢
عادل يحيى عبدالمنعم " د " :
– النقد الاجتماعى عند المؤرخين والكتاب الأندلسيين " من ق ٣ –٩ هـ / ٩–١٥ م " رسالة ماجستير غير منشورة آداب الزقازيق ١٩٩٦ " قيد النشر حالياً "
– العلم والتعليم في بلاد المغرب العربى من الفتح إلى نهاية دولة الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية البنات – عين شمس ٢٠٠٢ .
– دور أعلام الفكر الصوفي في تدعيم وجود العقيدة الأشعرية ببلاد المغرب الأقصى خلال القرنين ٥، ٦ هـ / ١١، ١٢ م، بحث قيد النشر بمجلة كلية الآداب – جامعة بنها – عدد أكتوبر ٢٠١٥ .
– الأسطورة في فتح الأندلس بين عبدالملك بن حبيب المتوفي عام ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م وابن القوطية المتوفي عام (٣٦٧ هـ/٩٧٧ م فكر وإبداع، إصدار خاص أغسطس ٢٠١٣ م

عباس إبراهيم المراكشي:
– الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ٨، المطبعة الملكية الرباط ١٩٧٦ .
عباس الجرارى " د " :
– الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، المناهل العدد الأول، السنة الأولى ذو القعدة ١٣٤٩ هـ/ نوفمبر ١٩٧٤ .
عبدالجليل التميمى " د " :
– من أجل كتابة علمية لتاريخ المغرب العربي، المجلة التاريخية المغربية، عدد خاص عن المنهجية التاريخية ومصادر التاريخ المغربي، عدد ١٣–١٤، تونس يناير ١٩٧٩
عبدالرحن على الحجى " د " :
– نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، ط ١ دار الإرشاد ١٩٦٩
عبدالسلام بن سودة :
– دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج١، ط٢ دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٦٠
عبدالكريم كريم " د " :
– دراسة في مصادر التاريخ المغربي، ج٩ الحلقة الثانية الثقافة المغربية ١٩٧٣
عبدالله علام " د " :
– الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن على، دار المعارف بمصر ١٩٦٨
عبدالله كنون :
– عقيدة المرشدة للمهدى بن تومرت، البحث العلمي، عدد ٩، السنة ٣، سبتمبر – ديسمبر ١٩٦٦
عبدالوهاب بن منصور :
– قبائل المغرب، ج١، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٦٨
ليفي بروفنسال :
– الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة : د . السيد محمود عبدالعزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمى، راجعة : لطفي عبدالبديع، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٠
– سلسلة محاضرات في آدب الأندلس وتاريخها، ترجمة : محمد عبدالهادى شعيرة، مراجعة : عبدالحميد العبادي، القاهرة ١٩٥١
محمد زنيبر : " د " :
– حفريات عن شخصية يعقوب المنصور، العدد ٩، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب ١٩٨٢ .
محمد عبدالحميد عيسى " د " :
– تاريخ التعليم في الأندلس، ط ١ دار الفكر العربى ١٩٨٢ .
محمد بن عبدالسلام بن عبود :
– تاريخ المغرب، ج١، ط٢ دار الطباعة المغربية تطوان ١٩٥٧
– **محمد الطالبى " د " – وإبراهيم العبيدى " د "**
– البرغواطيون في المغرب، ط ١ تانسيفت الدار البيضاء ١٩٩٩

محمد عبدالله عنان :
– دولة الإسلام في الأندلس، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ط ٢ مكتبة الخانجى ١٩٩٠ .
محمد الفاسى :
– التعريف بالمغرب، محاضرات على قسم الدراسات الأدبية واللغوية، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية ١٩٦٨
محمد المنونى :
– حضارة الموحدين، ط ١، دار توبقال، المغرب ١٩٨١
– المصادر العربية لتاريخ المغرب " من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الحديث، ج١ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٨٣ .
محمد عبدالهادي شعيرة " د " :
– المرابطون وتاريخهم السياسى (٤٣٠ – ٥٣٩ هـ) ط ١ مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٩ .
محمود إسماعيل" د " :
– مغربيات، دراسة جديدة فاس ١٩٧٧ .
– قضايا في التاريخ الإسلامي، منهج وتطبيق، دار العودة مكتبة مدبولي بيروت – القاهرة ١٩٧٤ .
يوسف أشباخ :
– تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق : محمد عبدالله عنان، ج ٢، ط ٢ مكتبة الخانجى ١٩٩٦ .
رابعًا : المراجع الأجنبية :–

Altmira (Rafael Y crevea):
– Historia De España., T. 1., Maderid 1958
Huici Miranda :
– Historia Politica del Imperio Almohade ., Tetuan 1956.
Las cagigas (Isidro) :
– Andalucia Musulmana., Madrid 1950 .
Melchor Antuña:
– Sevilla Y sus monumentos Arabes., Escorial 1930.
Pons Boigues (Francisco):
– Ensaya Bio– Biblio grafico sobre Lost Historiadores Geograpos Arabigo – Españoles., Madrid 1898 .
Terrase (Henri):
– Histoire du Marco., Paris 1952 .